خصائص المنهج النحوي عند الخليل بن أحمد في ضوء النظرية التحويلية التوليدية

د٠ مصطفى أحمد عبد العليم بخيت (*)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله. أما بعد.

فيُعد الخليل بن أحمد الفراهيدي أحد عباقرة العربية، وأحد روادها البارزين الذين أسسوا لعددٍ من علوم اللسان العربي؛ كالنحو، والعروض، والأصوات، والمعجم، وغير ذلك.

ولا ترجع أهميته فقط إلى أنه كان لغويًّا عظيمًا، ونحويًّا بارعًا؛ ولكنه كان قبل ذلك وبعده ذا عقلية فذة، وذهن متوقد وهّاج، ورؤية علمية واسعة تتجاوز حدود الزمان والمكان، ويكفي للإبانة عن ذلك أنه أحرز قصب السبق في عدد من العلوم العربية الأساسية.

ورغم كثرة ما كُتب عن الخليل بن أحمد فإننا نرى أن هذا الرجل لم يوفّ حقه لسببين:

١-أن واحدًا مثل الخليل بن أحمد لا ينتهي البحث فيه؛ لأنه كالبحر الذي لا ساحل له؛ فمهما كتب عنه الكاتبون تظل جوانب عبقريته، وغزارة عطائه الفكري متسعة لمزيد من البحث والتنقيب.

٢-أن أكثر الذين كتبوا عنه كتبوا بنهجٍ تقليدي يُعنَى ببيان فضله، وتاريخ حياته، وإسهاماته المعروفة في المعجم، والأصوات، والنحو، وغير ذلك، وقلما نجد من عُنِي منهم ببيان خصائصه المنهجية التي تميزه عن غيره من اللغويين والنحاة، وتكشف عن جوانب عبقريته وتفرده في ضوء ما تكشف

(*) كلية دار العلوم – جامعة القاهرة.

لنا من نظرٍ لغوي حديث؛ ولا سيما تلك النظريات التي تقرُب في منهجها من منهج الخليل.

من أجل ذلك نسعى في هذا البحث أن نلم بهذه الخصائص المنهجية عند الخليل، رابطين إياها بأقرب هذه النظريات اللغوية الحديثة شبهًا بها، وهي النظرية التحويلية التوليدية.

ومعروف أن النحو التحويلي يتقاطع في عدد من مبادئه مع النحو العربي، وخاصة نحو الخليل بن أحمد؛ سواء على المستوى المنهجي العام، أم على مستوى المعالجة الجزئية للمسائل اللغوية والنحوية؛ إذ نجد لدى الفراهيدي نزوعًا بيّنًا نحو المنطقية، والتعليل، والتأويل، والتقدير، وتمييزًا مطّردًا بين الأصل والفرع، والحسن والقبيح؛ فضلًا عن القول بتركيب الكلمات والأدوات التي رأى سواه من النحاة أنها بسيطة؛ نحو: «لن»، و «لولا»، و «كأن»، و «ويكأن»، وغيرها، وكان الخليل يرتكز إلى المعنى كثيرًا، ويعتمده أساسًا في تحليله اللغوي، وكل هذه معالم بارزة نجدها لدى تشومسكي وأمثاله من أصحاب النظرية التحويلية التوليدية(١).

وثمة أسباب جلية لهذا الالتقاء بين الرجلين؛ فهما ينهلان من منابع ثقافية متقاربة؛ أظهرها: المنطق والرياضيات، وكلاهما ذو نزعة عقلية وفلسفية واضحة.

وقد ذكر تشومسكي نفسه في بعض تصريحاته أنه درس اللغات السامية والنحوين العربي والعبري، وقد صرح باستفادته منهما فقال: «إن دراستي

(١) لمزيد من الاطلاع على جوانب الالتقاء بين النحوين العربي والتحويلي يراجع: النحو العربي والدرس اللغوي الحديث للدكتور عبده الراجحي ١١٥، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨م، ونظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر النحوي الحديث للدكتور نهاد الموسى ٥٤-٥٥، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠م.

المبكرة كانت متعلقة بدراسة النحو العبري ... فقد كان والدي متخصصًا في النحو العبري والعربي في القرون الوسطى، وقد درست هذا النحو على يديه، وباعتباري طالبًا في الجامعة فقد درست النحو العربي الحديث كما درست النحو العربي في القرون الوسطى كذلك ...» (١).

ومن المعلوم أن نحاة العبرية مثل «سعديا الفيومي» و «مروان بن الجناح» ممن عاشوا في كنف المسلمين في الأندلس كانوا قد أقاموا نحوهم على غرار النحو العربي (٢).

على أننا لا نعوّل في بحثنا هذا على مناحي التأثير والتأثر بين الرجلين، بل حسبنا أن نراعي جوانب الاتفاق المنهجية بينهما.

ويمكن إجمال عناصر البحث الذي نبتغيه في الخطة التالية:

المقدمة: وفيها بيان أهمية دراسة الخصائص المنهجية عند الخليل بن أحمد، وإشارة إلى الدراسات السابقة في هذا الصدد، وخطة البحث، وأسباب اختياره، وبيان جوانب الالتقاء بين منهج الخليل بن أحمد والنظرية التحويلية، وأسباب ذلك.

الفصل الأول: ويتناول الخصائص الفكرية عند الخليل بن أحمد في ضوء النظرية التحويلية، ويشمل المباحث الآتية:

---

(١) حول بعض القضايا الجدلية لنظرية القواعد التوليدية والتحويلية، لقاء أجراه: مازن الوعر مع تشومسكي، مجلة اللسانيات، العدد السادس، جامعة الجزائر ١٩٨٢، ص ٧٩ – ٨٠.

(٢) انظر: الساميون ولغاتهم للدكتور حسن ظاظا ٩٤–٩٥، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٩٠م. وانظر أيضا: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث للدكتور علي زوين ٤٤، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م، حيث أشار إلى أن المترجمات العبرية في الأندلس نقلت النحو العربي وطبقته على العبرية.

المبحث الأول: فطرية اللغة.

المبحث الثاني: المنطقية.

المبحث الثالث: الفروض العقلية.

المبحث الرابع: التعليل.

المبحث الخامس: التمييز بين الأصل والفرع.

الفصل الثاني: ويدرس الخصائص اللغوية عند الخليل بن أحمد في ضوء النظرية التحويلية، ويتضمن المباحث الآتية:

المبحث الأول: الحذف والتقدير.

المبحث الثاني: الزيادة.

المبحث الثالث: القلب والإبدال.

المبحث الرابع: العناية بالمعنى.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

* *

الفصل الأول

الخصائص الفكرية عند الخليل بن أحمد

المبحث الأول: فطرية اللغة:

أشار الخليل بن أحمد إلى السليقة اللغوية عند العرب القدامى وإحساسهم الفطري بقواعد اللغة وعلل النحو، وذكر أن ذلك أمر كامن في نفوسهم، وأن مهمة النحوي هي الكشف عن هذه العلل، وإظهار هذه القواعد، وذلك في نص جلي نقله عنه الزجاجي فقال: «ذكر بعض شيوخنا أن الخليل سئل عن العلل التي يعتل بها في النحو؛ فقيل له: عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك؟ فقال: إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله، وإن لم ينقل ذلك عنها، واعتللت أنا بما عندي أنه علة لما عللته منه، فإن أكن أصبت فهو الذي التمست، وإن يكن هناك علة غير ما ذكرت فالذي ذكرته محتمل أن يكون علة له ... فإن سنحت لغيري علة لما عللته من النحو هي أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها» (١).

وقضية الفطرية من القضايا الأساسية في فلسفة تشومسكي اللغوية؛ حيث أكد في غير موضع من كتبه أن الطفل يولد ولديه قدرة لغوية على فهم كلام والديه، وإنتاج جمل مماثلة لما سمعه، وهذا مما يختص به الإنسان دون غيره من الكائنات، وهذه القدرة اللغوية فطرية غريزية، تنمو من خلال التفاعل مع البيئة اللغوية، وتساعد على تقبل المعلومات اللغوية واكتسابها وتخزينها وتشكيل قواعد اللغة الأم، وقد لاحظ تشومسكي أن الطفل يتلقى خلال سني عمره الأولى معلومات ضئيلة غير منظمة يسمعها من والديه أو أفراد أسرته، يستطيع من خلالها أن يُكوِّن ما لا يحصى من الجمل الصحيحة، في حين أننا لو أتينا بأذكى

---

(١) الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك ٦٦، دار النفائس، بيروت، ط٣، ١٩٧٩م.

حيوان، وجعلناه يعيش في البيت نفسه؛ فلن يستطيع أن ينطق بكلمة واحدة، فضلا عن جملة، وهذا دليل على أن الطفل يولد ولديه موهبة فطرية على فهم الكلام، وتنظيمه، وإنتاج جمل جديدة شبيهة بما سمعه(١).

ولهذه الفكرة صلة بمفهوم الكفاءة اللغوية عند تشومسكي Competence، وتعني عنده نظام اللغة الكلي الكامن في أذهان أبنائها جميعًا، ويتمثله الأفراد جزئيًّا أو ضمنيًّا، وهي ملكة خاصة يمتلكها أبناء اللغة الذين نشئوا وتربوا عليها.

وقد كان النحاة العرب على وعي بهذه الملكة اللغوية، ويقدرونها حق قدرها، ومن أجل ذلك رحل الخليل بن أحمد إلى بوادي جزيرة العرب يتلقى اللغة عن أهلها الذين وهبوا هذه الملكة؛ فقد روي أن الكسائي سأله من أين أخذت علمك هذا؟ فقال: من بوادي الحجاز ونجد وتهامة (٢).

وقد صنع الكسائي صنيع شيخه؛ فرحل إلى هذه البوادي، وسمع من أهلها حتى أنفد خمس عشرة قنينة حبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ (٣).

المبحث الثاني: المنطقية:

كان الخليل بن أحمد يحتكم إلى العقل والمنطق كثيرًا في توجيهه للنصوص اللغوية واختياراته النحوية، فهو لا يكتفي بالسماع عن العرب والنقل

---

(١) راجع في فكرة أن اللغة من خواص النوع الإنساني وأنها مرتبطة بالعقل عند تشومسكي: نظرية تشومسكي اللغوية لجون لوينز، ترجمة الدكتور حلمي خليل ٢٤٧-٢٤٨، الإسكندرية دار المعارف الجامعية، ١٩٨٥م.

(٢) إنباه الرواة ٢٥٨/٢، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٨٢م. والمدارس النحوية ٤٦، دار المعارف.

(٣) إنباه الرواة ٢٥٨/٢.

عنهم، وإنما يُعمل عقله في هذا المنقول بالقياس عليه، والتأمل فيه، والاستنباط منه، والتفسير له.

ومن ذلك أنه علل عدم صياغة «أفعل» التعجب من الألوان والعيوب؛ فلا يقال: «ما أحمره!»، ولا «ما أعوره!» بأن هذا الباب شبيه بالأسماء في دلالته على معنى ثابت بالخِلْقة؛ كاليد والرجل، فكما لا يقال: «ما أيداه!»، و «ما أرجله!»؛ لا يقال: «ما أحمره!»، و «ما أعوره!» (١). فهو هنا يقيس الألوان والعيوب في عدم مجيء التعجب منها على اليد والرجل وما أشبههما؛ بجامع الثبات في كل؛ وذلك أن التعجب يقتضي التفاوت.

ومن ذلك محاولته التماس المناسبة بين الألفاظ والمعاني الخارجية؛ فقد حكى عنه ابن جني أنه قال: «كأنهم توهّموا في صوت الجُنْدُب استطالة ومدّا فقالوا: «صرَّ»، وتوهّموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا: «صرصر»» (٢). وهذا يشبه ما يسمى عند التحويليين بالدلالة الخارجية.

ومن ذلك أنه اختار في النداء: «يا قاضي» بإثبات الياء، وعلل ذلك بأنه ليس بمنون، فهو مثل: «هذا القاضي» (٣)، فهو هنا يقيس «المنادى النكرة» على «المعرف بأل» في عدم التنوين وثبات الياء؛ لأن علة حذف الياء –وهي التنوين–غير محققة.

ومنه أيضا أنه اختار في نحو «مقول» أن المحذوف هو الواو الزائدة، على حين اختار الأخفش أن المحذوف هو الواو الأصلية (٤).

---

(١) انظر الكتاب لسيبويه ٩٨/٤. تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٨م.

(٢) يراجع الخصائص ١٥٢/٢، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٣) الكتاب ١٨٤/٤.

(٤) انظر في هذه المسألة: الأصول في النحو لابن السراج، ٢٨٣/٣، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت. والخصائص ٦٨/٢، وشرح شافية ابن الحاجب للرضي ١٤٧/٣. تحقيق: محمد الزفزاف وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت.

واحتج الخليل بأن حذف الزائد أولى، وأن المحذوف لو كان الأصلي لكان يقال: «مبوع» في اسم المفعول، من «باع»، لكنهم قالوا: «مبيع» (١).

وعلل الخليل لعدم دخول «أل» على المنادى المفرد –في نحو «يا رجل»، و «يا فاسق» –بأن كل اسم في النداء مرفوع معرفة؛ لأنك أشرت إليه وقصدت قصده، واكتفيت بهذا عن الألف واللام (٢)؛ فكأنه يمنع الجمع بين تعريفين.

وعلل لعدم جواز ندبة النكرة –وذلك نحو: «وارجلاه»، و «يا رجلاه» – بقوله: «إنما قبح؛ لأنك أبهمت، ألا ترى أنك لو قلت: «واهذاه» كان قبيحًا؟! ولأنك إذا ندبت فإنما ينبغي لك أن تفجع بأعرف الأسماء، وأن تختص فلا تُبهم؛ لأن الندبة على البيان» (٣).

ويدل كلام الخليل هنا على نظرته الواقعية للغة؛ فقد لاحظ أن النادب إنما يندب من يعرفه، ومن ثم منع ندبة النكرة.

وكان يعلل للظواهر الشاذة أيضا، وكأنه يعتقد أن كل ما نطقت به العرب له تفسير وتعليل كما قال سيبويه: «وليس شيء يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجها» (٤).

ومن ذلك تعليله لجمع «الوجوه» في الحديث عن الاثنين في قول العرب: «ما أحسن وجوههما!» بأن الاثنين جميع، وهذا بمنزلة قول الاثنين: «نحن فعلنا». فهو يقيس جمع «الوجوه» على الضمير الذي يكون للاثنين والجميع.

ومن ذلك ما رواه ابن جني من أنه سُئل عمن يقولون من العرب: «مررت بأخواك، وضربت أخواك» بإلزام المثنى الألف، فقال: هؤلاء قولهم على قياس

(١) انظر المقتضب ١/١٠٠. تحقيق: عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.

(٢) الكتاب ١/٣١٠.

(٣) السابق ١/٣٢٤.

(٤) السابق ١/٣٢.

الذين قالوا في «بيئس»: «ياءس»، أبدلوا الياء لانفتاح ما قبلها، وقال: ومثله قول العرب من أهل الحجاز: «يا تزن»، و «هم يا تعدون»، فروا من «يوتزن» و «يوتعدون» (١). ومعنى ذلك أنه قاس نطق الألف في المثنى جرًّا ونصبًا على قول من يبدلون الياء والواو ألفا في بعض المواضع طلبًا للخفة والسهولة.

ففي هذه التعليلات والأقيسة نلاحظ الاعتماد على المنطق واضحًا؛ لأن العرب تكلمت على سجيتها، ولم تذكر هذه العلل، وإنما اجتهد الخليل في استنباطها وضبطها.

ولم يكن الخليل معتمدًا في ذلك على منطق أرسطو ولا غيره، وإنما اعتمد على المنطق الطبيعي والعقل الفطري؛ إذ لم يكن المنطق الأرسطي في ذلك الوقت قد عمل عمله، أو مارس أثره في الثقافة العربية (٢).

ومن المعروف أن تشومسكي كان قد أفاد من علم المنطق الرياضي، وأن نظريته تقوم في كثير من مبادئها على الربط بين العقل واللغة؛ ففي عام ١٩٥٥م وضع تشومسكي كتابه «البنية المنطقية للنظرية الألسنية»(The logical structure of linguistic theory)(٣)، وفي هذا الكتاب يتحدث عن التداخل بين الألسنية وعلم المنطق الرياضي (٤).

---

(١) الخصائص ٢/١٤.

(٢) يبدو من مطالعة كتاب سيبويه خلوه من التأثر بالمنطق اليوناني؛ إذ نراه ينقل عن العرب، ويروي عن شيوخه السابقين، ومنهم: الخليل، ويعتمد على النصوص العربية الخالصة من القرآن وكلام العرب شعرًا ونثرًا، وقد توفي الخليل وسيبويه قبل أن تؤتي حركة الترجمة في عهد المأمون أكلها في البيئة الثقافية العربية. راجع للتوسع في تاريخ العلاقة بين النحو العربي والمنطق الأرسطي: كتابنا أثر العقيدة وعلم الكلام في النحو العربي ٤٧. القاهرة، دار البصائر ٢٠١١م.

(٣) الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، لميشال زكريا، ١٠، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨٣.

(٤) السابق ١١.

ونلاحظ في كتب تشومسكي ربطًا واضحًا بين العقل واللغة، فهو يرى أن الملكة اللغوية مظهر من مظاهر القدرة العقلية، ويذكر أنه «توجد في حالة اللغة ملكة خاصة تعد عنصرًا رئيسًا من عناصر العقل الإنساني» (١). ولتشومسكي نفسه أكثر من كتاب يحمل عنوان اللغة والعقل منها "اللغة والعقل" (Language and Mind) ومنها "آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل" (New Horizons in the Study of Language and Mind).

ويرى تشومسكي أن الإنسان قد وهب قدرة لغوية، وأن الطفل يولد مزودًا بهذه القدرة التي تمكنه من تعلم اللغة واكتسابها، ومزودًا أيضًا بجملة من القواعد النحوية الكلية الفطرية التي تمكنه من التعرف على ما يسمعه من كلام، وهذه القواعد الكلية هي جزء مما نسميه العقل. ونراه يقرر في مقدمة كتابه «المعرفة اللغوية» ناقلا عن «ليبينز»: أن اللغات هي أفضل مرايا العقول، ويتبنى رأي «بوزيه»: أن مبادئ النحو هي نفس المبادئ التي توجه العقل الإنساني، ويذكر أن علم اللغة لا يختلف على الإطلاق عن علم الفكر، وينقل عن «جون استيوارت مل» أن مبادئ النحو هي الوسائل التي بواسطتها تتهيأ أشكال اللغة لأن تتطابق مع أشكال الفكر العالمية ... فبنية كل جملة درس في المنطق (٢).

وبسبب هذه النزعة المنطقية أخذ تشومسكي يلتمس الجوانب المشتركة بين اللغات، ويلاحظ أوجه التشابه الكامنة فيما بينها، ويفكر فيما يعرف بالنحو الكلي

(١) اللغة ومشكلات المعرفة ترجمة د. حمزة قبلان، ٢١٥، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

(٢) المعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها واستخدامها لنوم تشومسكي، ترجمة د. محمد فتيح ٥١، دار الفكر العربي، ١٩٩٣م.

للغات. وقد علق أهمية كبيرة على استغلال اللغات لعمليات منطقية واحدة في بناء وتكوين جمل نحوية، وعلى هذا الرأي أقام فلسفته العقلية للغة (١).

المبحث الثالث: الفروض العقلية:

كان الخليل بارعًا في الافتراضات العقلية؛ لأنه صاحب العقلية الفذة، والذهن الوقّاد المبتكر، وهو الذي اخترع أوزان العروض، وفكرة المعجم العربي؛ بناء على نظرية التقاليب والتباديل التي هي في جوهرها عمل افتراضي.

وللفروض العقلية قيمة كبيرة في البحث العلمي؛ فجل الاختراعات التي توصل إليها الإنسان كانت في الأصل فكرة في الفرض والخيال، ثم تحولت إلى حقيقة ظاهرة بالتجربة والاختبار.

والفرض خطوة أساسية في البحث العلمي التجريبي، تعرف بتمحيص الفروض؛ حيث يبدأ الباحث أولًا بوضع الفروض العقلية لتفسير الظاهرة موضع البحث، ثم يأخذ في اختبار هذه الفروض بالإبقاء على الصالح منها وعزل الممتنع (٢).

ومن الافتراضات العقلية التي توخاها الخليل: أنه أراد أن يفسر الكسرة في «أمسِ» بافتراض أن الأصل فيها «رأيته بالأمسِ»، فحذفوا الباء والألف واللام،

---

(١) ينظر: نظرية تشومسكي اللغوية لجون لوينز، ترجمة الدكتور حلمي خليل ٢٤٥. وانظر في مفهوم النحو الكلي نظرية النحو الكلي والتراكيب اللغوية العربية للدكتور حسام البهنساوي ١٥-٢٠، مكتبة الثقافة الدينية ، ط١ ، ٢٠٠٤م.

(٢) انظر في القيمة المنهجية للفرض العلمي: أسس الفلسفة للدكتور توفيق الطويل ١٦٢ – ١٦٤، دار النهضة العربية، ط٣، القاهرة ١٩٧٦م.والمنطق الحديث ومناهج البحث للدكتور محمود قاسم ١٣٥-١٧٨، دار المعارف ، ط٥ ، ١٩٦٧م.

وتركوا الاسم على حاله مكسورًا؛ كما قالوا: «خيرٍ عافاك الله»؛ يريدون «بخير»، وكما قالوا: «لاهِ أبوك»؛ يريدون «لله أبوك» (١).

وقد اختلف النحاة في حركة «أمسِ»؛ فذهب الأكثرون إلى أن حركته حركة بناء؛ لتضمنه معنى حرف التعريف، وهو اللام، وذهب الخليل إلى أن حركته حركة إعراب؛ لأن الأصل «بالأمس»، فنزعوا حرف الجر والألف واللام تخفيفًا، فالأصل في «لقيته أمسِ»: «لقيته بالأمس».

وقد استضعف سيبويه قول الخليل، وقال: «ولا يقوى قول الخليل في «أمسِ»؛ لأنك تقول: «ذهب أمسِ بما فيه»» (٢).

وعلى الرغم من استضعاف سيبويه لرأي الخليل هنا؛ فإنه يترجح عندي قول الخليل؛ لأن فيه رد الكلمتين المتماثلتين إلى أصل واحد، وهو أحسن من جعلهما أصلين مختلفين، ويمكن القول بأن الأصل الإعراب، ثم عرض لها البناء كما في باب النداء؛ حيث يعرض البناء للاسم المعرب المفرد سواء كان علما أم نكرة مقصودة، وكما في الظروف المقطوعة عن الإضافة؛ مثل: «قبلُ» و«بعدُ»؛ فإنها كانت مع الإضافة معربة.

وذهب الكسائي إلى أنه ليس معربًا ولا مبنيًّا، بل هو محكيٌّ سُمِّيَ بفعل الأمر، فقولك: «جئت أمسِ» معناه: «الذي كنت تقول فيه أمسِ»، فكثرت هذه الكلمة على ألسنتهم.

ولكن رجح بعضهم قول الخليل بأن الغالب في استعمال «أمسِ» هو اقترانه بالألف واللام، حتى إنه لم يرد في القرآن إلا كذلك، وحملُ القليل على الكثير أولى، وبأن بناء الاسم لتضمنه معنى الحرف إنما يكون إذا لم يمكن إظهار

---

(١) انظر شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ٣٢٦/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م. وهمع الهوامع ١٨٨/٢، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

(٢) الكتاب لسيبويه ١٦٢/٢.

الحرف معه، و «أمسِ» لا يمتنع أن يظهر معه «أل» [١]. والحاصل أن الخليل هنا افترض هذا الأصل لتفسير حركة الكسر في «أمسِ».

ومن المفترض عنده أيضًا قوله: لو أن رجلًا قال: «إياك نفسك لم أعنفه»؛ لأن هذه الكاف مجرورة [٢]، وهو يريد أن «نفسك» بدل من الكاف، وأن الكاف مضافة إلى «إيا»، وكأنما قاس الخليل هذا على قول شاذ حكاه عن بعض الأعراب وهو: «إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب» [٣].

ومن ذلك أيضًا: التمارين التعليمية التي كان الهدف منها قياس المهارة النحوية. قال سيبويه: "وسألته عن رجل سمي بـــ «أولي» من قوله: ﴿نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [النمل: ٣٣]، أو بـــ «ذوي»، فقال: أقول: «هذا ذوون»، و «هذا أولون»؛ لأني لم أضف، وإنما ذهبت النون في الإضافة"[٤]. فهو هنا يطبق الحكم النحوي على ما لم يرد من كلام العرب اعتمادًا على ما ورد.

ومن تلك المسائل أيضًا: أن الخليل كان يقول في رجل سُمِّيَ بجمع مذكر سالم –نحو «مسلمين»–: إنه ينصرف، ويعرب بالحركات على النون مع الالتزام بالياء؛ فيقال: «هذا مسلمينٌ» و «رأيت مسلمينًا»، و «مررت بمسلمينٍ»؛ قياسًا على قول بعض العرب في «سنين»: «سنينٌ»، و «سنينًا»، و «سنينٍ».

ومنها كذلك: أنه كان يرى في عدد من الأدوات أنها مركبة من كلمات أخرى؛ مثل: «لن»، و «مهما»، و «ويكأن»، و «لولا»، و «لوما»، و «كأن»، وغيرها.

---

(١) انظر نزع الخافض في الدرس النحوي لحسين بن علوي بن سالم الحبشي ٣٠٨/١، رسالة جامعية بجامعة حضر موت، كلية التربية، المكلا، ١٤٢٥هـ.
(٢) الكتاب لسيبويه ٢٧٩/١.
(٣) السابق نفسه.
(٤) السابق ٢٨٢/٣.

فيقول عن «مهما»: هي مركبة من «ما» «ما»، و «ما» الأولى التي للجزاء، والثانية التي تزاد بعد الجزاء، واستقبحوا التكرير؛ فأبدلوا من ألف الأول هاء وجعلوهما كالشيء الواحد (١).

ويقول في «لن»: إنها مركبة من «لا» و «أن»، فحذفوا الألف من «لا»، والهمزة من «أن»؛ لكثرة الاستعمال، وركبوا إحداهما مع الأخرى؛ فصار «لن». وذهب سيبويه إلى أنها ليست مركبة، بل هي بمنزلة شيء واحد؛ قال سيبويه: «ولو كانت على ما يقول الخليل لما قلت: «أما زيدًا فلن أضرب»؛ لأن ما بعد «أن» لا يعمل فيما قبلها» (٢).

ويمكن أن يعتذر عن الخليل بأن يقال: إن الحروف إذا ركبت تغير حكمها (٣).

وهكذا يتضح أن اعتناء الخليل بالفروض كان سمة بارزة في منهجه الفكري، وهو يدل على ربطه بين العقل واللغة، وتلك نقطة التقاء بينه وبين التحويليين؛ إذ يميز هؤلاء دومًا بين البنيتين: العميقة والسطحية، ويرون أن التحليل الظاهري للغة لا يكفي في تفسيرها وتحليلها، بل لا بد أن يضم إليه تحليل التركيب الداخلي.

لقد اعتمد تشومسكي في نظريته التوليدية على المنهج الاستنباطي الذي يحلل اللغة عن طريق وضع الفرضيات وتجريبها على مواد لغوية محددة، حتى

---

(١) انظر: الجنى الداني للمرادي ١٠٤/١، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد ١٩٧٥م.

(٢) الكتاب:٣/٥.

(٣) انظر: أسرار العربية ٢٨٩/١، تحقيق: فخر صالح قدارة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

تثبت له الفرضية اللغوية الصحيحة، ولأنه ربط اللغة بالعقل فقد نحا نحو التجريد وافتراض جمل لا معنى لها ليصل إلى أهمية المكون الدلالي.

ومن الجمل التي افترضها تشومسكي عبارته الشهيرة: «تنام الأفكار الخضراء عديمة اللون باختناق» (١)؛ إذ تتصف هذه الجملة بموافقتها لقواعد النحو؛ وفقًا لما يقتضيه المكون التركيبي، بيد أنها لا تدل على معنى مفهوم. وقد دعا هذا تشومسكي إلى العناية بالدلالة في المراحل اللاحقة لنظريته التوليدية.

ومن الأفكار المحورية في النظرية التوليدية: فكرة الإبداع التي تعني قدرة المتكلم على إنتاج جمل جديدة لا حصر لها قياسًا على ما سمعه وعرفه؛ إذ يرى تشومسكي أن اللغة الإنسانية تقوم على تنظيم منفتح وغير مغلق من العناصر، تتجلى فيه السمة الإبداعية عبر مقدرة المتكلم على إنتاج وتفهم عدد غير متناه من الجمل لم يسبق له سماعها من قبل، وتختص هذه القدرة بالإنسان من حيث هو إنسان.

وقد صرح تشومسكي بعلاقة المظهر الإبداعي في استعمال اللغة بالقياس، وأشار إلى أن المتكلمين ينتجون التراكيب الجديدة بالقياس على تلك التي سمعوها كما يفهمون التراكيب الجديدة بالطريقة نفسها"(٢).

ومعنى ذلك أن فكرة الإبداعية تعود في حقيقتها إلى فكرة القياس، وهو من الأصول المعتمدة عند النحاة العرب؛ إذ أثر عنهم أنهم يقولون: «ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب» (٣).

وكان الخليل من أوائل النحاة الذين اتخذوا القياس أساسا من أسس البحث النحوي، ويفيض كتاب سيبويه بذكر أقيسة الخليل.

---

(١) البنى النحوية لتشومسكي ١٩٥٧، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، دار شئون الثقافة العامة، بغداد،١٩٨٧م.

(٢) ينظر اللغة ومشكلات المعرفة لتشومسكي ٢٣.

(٣) انظر: الخصائص لابن جني ١/ ٣٥٨.

فمن ذلك قياسه «كم» على «عشرين» في استقباح الفصل بينها وبين تمييزها، قال سيبويه: «وزعم -يعني الخليل-أن «كم درهما لك؟» أقوى من «كم لك درهما؟»، وإن كانت عربية جيدة؛ وذلك أن قولك: «العشرون لك درهما» فيها قبح، ولكنها جازت في «كم» جوازا حسنا؛ لأنه كأنه صار عوضا من التمكن في الكلام» (١).

ومن إبداعية اللغة عند الخليل: تطبيقه فكرة التقاليب على المفردات العربية؛ بحيث يحصل من الكلمة الثلاثية الواحدة على ست صور، ومن الرباعية على أربع وعشرين صورة، ومن الخماسية على مائة وعشرين، ثم يميز بين المستعمل منها والمهمل، والخليل في هذا ينطلق من تصور عقلي رياضي، وليس من استقراء قائم على التجربة، وهو في هذا يلتقي مع تشومسكي الذي رأى أن اللغة مرآة العقل، وأنه ينبغي أن تبحث من وجهة نظر منطقية عقلية لا تجريبية. كما يلتقي معه في فكرة التوليد اللغوي المشار إليها؛ حيث تحدث تشومسكي كثيرا عن توالد الجمل بعضها من بعض بفعل القدرة اللغوية الكامنة في عقل المتكلم، غير أن الخليل طبق فكرته عن التوليد على مستوى المفردات، وطبقها تشومسكي على مستوى الجمل، كما أن التوليد عند الخليل من عمل اللغوي، وهو عند تشومسكي من عمل المتكلم.

ويقوم المنهج اللغوي عند تشومسكي على تحليل المركبات إلى أصولها البسيطة؛ حيث تمثل هذه الأصول البسيطة نواة التركيب أو التكوين الأساسي له. يقول تشومسكي: «من أجل أن نفهم جملةً ما من الضروري أن نعرف جمل النواة التي اشتقت منها الجملة، وكذلك التاريخ التحويلي للجملة التي نحن بصددها، وتطورها عن جمل النواة التي تعتبر العناصر الأساسية للمحتوى التي

(١) انظر: الكتاب ١٥٨/٢.

نشتق منها جملا أكثر تعقيدًا ومألوفية في الحياة الحقيقية عن طريق التطور التحويلي» (١).

المبحث الرابع: التعليل:

كان الخليل بن أحمد صاحب ملكة راسخة في التعليل؛ فهو لا يدع لفظة أو حرفًا من كلام العرب إلا ويلتمس له علة، وقد سئل هو عن العلل التي يعتل بها: أعن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك؟ فقال: «إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله، وإن لم ينقل ذلك عنها، واعتللت أنا بما عندي أنه علة لما عللته منه، فإن أكن أصبت فهو الذي التمست، وإن يكن هناك علة غير ما ذكرت فالذي ذكرته محتمل أن يكون علة له ... فإن سنحت لغيري علة لما عللته من النحو هي أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها» (٢).

ومن هنا يتضح أن العلل التي يعتل بها الخليل هي علل حقيقية، وليست متكلفة ولا مصطنعة، وقد اعتل الخليل بالعلل الأوائل والثواني والثوالث.

أما العلل الأوائل فهي العلل الحسية القريبة التي يقال عنها: إنها ضرورية أو تعليمية؛ مثل تعليله حذف الهمزة في نحو «يُخرج» بالاستثقال (٣)، وحذف متعلق «أول» في قولهم: «من عام أول» بالاستخفاف، والأصل «أول من عامك» (٤). وتعليله ضمة ألف الوصل في نحو: «اُكتُب»، و «اُقتُل» بالمناسبة، وأنهم أرادوا أن يكون العمل من وجه واحد (٥). وزيادة اللفظ في «اخشوشن»،

---

(١) البنى النحوية ١٢٣.

(٢) انظر: الإيضاح في علل النحو ٦٦.

(٣) انظر: الكتاب ٢٧٩/٤.

(٤) انظر: السابق ٢٨٣/١.

(٥) انظر: السابق نفسه.

و «اعشوشب» بالمبالغة والتوكيد [1]. وتعليله حذف الفعل في قولك لرجل رأيته قد سدد سهمًا: «القرطاسَ» منصوبًا بدلالة الحال والسياق؛ أي: أصبت القرطاس. فهذه العلل الأول لا خلاف بين العلماء في أهميتها وضروريتها بالنسبة للمتعلمين؛ لأنها تعين على معرفة الحكم النحوي وكيفية الكلام العربي، وهي في أغلبها حسية ترجع إلى التخفيف أو الثقل أو التوضيح. قال ابن جني: «اعلم أن علل النحويين أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقهين؛ وذلك أنهم إنما يحيلون على الحس، ويحتجون فيه بثقل الحال، أو خفتها على النفس»[2].

وأما العلل الثواني فلا يتوقف عليها معرفة كلام العرب، وإنما الغرض منها الكشف عن حكمتهم في كلامهم؛ ومن ذلك: تعليل الخليل لحذف نون الوقاية من ضمير المتكلم المتصل بـــ «إن» و «كأن» و «لكن» و «لعل»؛ بأن هذه الأحرف اجتمع فيها أنها كثيرة في كلامهم، وأنهم يستثقلون في كلامهم التضعيف، فلما اجتمع كثرة استعمالهم إياها، وتضعيف الحروف حذفوا التي تلي الياء، فإن قلت: «لعل» ليس فيها نون؛ فإنه زعم أن اللام قريبة من النون، وهي أقرب الحروف من النون، ألا ترى أن النون قد تدغم مع اللام حتى تبدل مكانها لامًا، وذلك لقربها منها؟»[3]. فقد ذكر الخليل هنا علتين لحذف النون، وهما كثرة الاستعمال، واستثقال التضعيف، وعلل لما خالف ذلك –وهو «لعل»–بقرب المخرج؛ فكأنه ذكر علة بعد علة.

ومن ذلك: تعليله لإدخال نون الوقاية على الضمير المتصل بـــ «قط» و «عن» و «من» و «لدن» بقوله: «إنه ليس في الدنيا حرف تلحقه ياء

(١) السابق ٣٦٩/١.

(٢) الخصائص ٤٨/١.

(٣) انظر: الكتاب ٣٨٦/١.

الإضافة -أي: ياء المتكلم-إلا كان متحركًا مكسورًا، ولم يريدوا أن يحركوا الطاء التي في «قط»، ولا النون التي في «من»، فلم يكن لهم بد من أن يجيئوا بحرف لياء الإضافة متحرك، وكانت النون أولى؛ لأن من كلامهم أن تكون النون والياء علامة المتكلم، وكرهوا أن يجيئوا بحرف غير النون فيخرجوا من علامات الإضمار» (١).

فقد أوضح الخليل هنا أولًا: لم جيء بالنون قبل ياء المتكلم؟ ثم أوضح ثانيًا: لم جاءوا بالنون، ولم يجيئوا بغيرها من الحروف؟ فكأنه أتى بعلة العلة.

ومن الحق أن يقال: إن هذا النوع من التعليل رغم ما يبدو فيه من تعمق واستقصاء لا يخرج عن حدود العلل اللغوية التي ترجع إلى الحس وكثرة الاستعمال اللغوي ونحو ذلك، وأن ما يسمى بالعلل الثواني والثوالث إنما هو -كما قال ابن جني-: «تتميم للعلة الأولى وتفسير لها»؛ ولذلك علق ابن جني على تقسيم أبي بكر بن السراج للعلل إلى علة وعلة العلة بقوله: «وهذا موضع ينبغي أن تعلم منه أن هذا الذي سماه علة العلة إنما هو تجوز في اللفظ، فأما في الحقيقة فإنه شرح وتفسير وتتميم للعلة» (٢).

وكان الخليل يعلل للظواهر الشاذة أو المخالفة للمشهور أيضا؛ فمن ذلك أنه علل لعدم إعلال الواو في «معاون»، والياء في «معايش»؛ كما جرى في نظائرهما من نحو «صحائف» و «عجائز» و «رسائل»؛ بأن الأصل فيهما الحركة، قال سيبويه: «وسألته عن واو «عجوز» وألف «رسالة» وياء «صحيفة» لأي شيء هُمِزْن في الجمع، ولم يكنَّ بمنزلة «معاون» و«معايش»؟ فقال: لأني إذا جمعت «معاون» ونحوها فإنما أجمع ما أصله الحركة، فهو بمنزلة ما حركت كـ «جَدْوَل»، وهذه الحروف لما لم يكن أصلها التحريك، وكانت ميتة لا تدخلها الحركة على حال، وقد وقعت بعد ألف؛ لم تكن أقوى حالًا

(١) السابق ١/٢٧٤.
(٢) الخصائص ١/١٧٤.

مما أصله متحرك» [١]. فهو هنا يميز في تعليله بين الأصلي والزائد على نحو تمييز التحويليين بين البنيتين العميقة والسطحية.

وكان يتسامح مع الظواهر الشاذة، ويعلل لها؛ فمن ذلك قوله: لو أن رجلًا قال: «إياك نفسِك لم أعنفه»؛ لأن هذه الكاف مجرورة [٢]؛ يعني أن «نفسِك» توكيد للكاف.

وكان يعلل للظواهر غير الجائزة؛ فمن ذلك: ما نقله عنه سيبويه من عدم جواز وصف النكرة والمعرفة بصفة واحدة؛ كقولك: «هذه ناقة وفصيلها الراتعان»، قال سيبويه: «فهذا محال؛ لأن الراتعان لا يكونان صفة للفصيل ولا للناقة، ولا تستطيع أن تجعل بعضها نكرة وبعضها معرفة، وهذا قول الخليل» [٣].

ومنه: امتناع ندبة المبهم، قال الخليل ~: «إنما قبح لأنك أبهمت، ألا ترى أنك لو قلت: «واهذاه» كان قبيحًا؛ لأنك إذا ندبت فإنما ينبغي لك أن تفجع بأعرف الأسماء، وأن تخص ولا تبهم» [٤].

وهكذا يتضح أن الخليل بن أحمد كان يعلل لجميع الظواهر اللغوية: المطرد منها والشاذ، والجائز وغير الجائز، وأن غرضه من التعليل كان الكشف عن حكمة العرب في كلامهم، وفهم طرائقهم في التعبير، ولم يكن الخليل في تعليلاته متأثرًا بمنطق أرسطو أو غيره، وإنما كان منطلقًا من المنطق الطبيعي والعقل الفطري.

وهذا المنحى من التعليل والتفسير نجده عند تشومسكي في نظريته التوليدية؛ فهو ينحى باللائمة دومًا على الوصفيين أنهم يكتفون بوصف الظواهر

(١) الكتاب ٤٢٥/١.
(٢) السابق ٢٧٩/١.
(٣) انظر: السابق ٥٩/٢.
(٤) السابق ٢٢٧/٢.

اللغوية، ولا يفسرونها، وفي رأيه أن اللغة انعكاس لقدرة الإنسان الفطرية؛ ومن ثم كان يرى أن المحلل اللساني ينبغي أن يشرح تلك المقدرة بوسائل فكرية ونفسية وبيولوجية، يقول تشومسكي: «يمكن أن نقول: إن النحو الذي يقترحه اللغوي هو نظرية تفسيرية تقدم تفسيرًا لحقيقة أن متكلم اللغة المقصود سيفهم، أو يفسر، أو يصوغ، أو يستعمل تعبيرًا معينًا بطرق معينة، وليس بطرق أخرى، كما يمكن البحث عن نظريات تفسيرية أكثر عمقًا ...»(١).

وقد نادى تشومسكي بضرورة تحقق شرطين في النظرية الأصلية للغة البشرية، هذان الشرطان هما الكفاية الوصفية descriptive adequqcy، والكفاية التفسيرية explanatory adequacy. (٢)

لقد اعتاد السلوكيون والبنيويون قبل تشومسكي على الاقتصار على الملاحظة والوصف في دراسة الظاهرة اللغوية، أما التوليديون فقد رأوا أنه من الضروري الجمع بين الملاحظة والوصف والتفسير والغوص في المبادئ والأسس المفسرة للظواهر الخارجية (٣).

يقول تشومسكي: «ويتحقق المستوى الأدنى من النجاح إذا قدم النحو المادة الأولية الملاحظة تقديمًا سليمًا، ويمكن بلوغ المستوى الثاني والأعلى عندما يقدم النحو تفسيرًا سليمًا للحدس اللغوي للمتكلم السليقي» (٤).

وكان يرى أن الهدف من أي نظرية هو تفسير الظواهر؛ «إن كل نظرية تعتمد عددا محدودا من الملاحظات، وتسعى إلى تفسير الظواهر التي يتم

---

(١) اللغة والعقل ٣٩-٤٠. وراجع: N. Chomsky, Language and Mind, New York Harcourt, ١٩٦٨.

(٢) انظر في الكفاية التفسيرية كتاب المعرفة اللغوية لتشومسكي ١٢١، ترجمة محمد فتيح.

(٣) انظر: مدخل إلى اللسانيات، للدكتور محمد محمد يونس ٤٨.

(٤) راجع N. Chomsky, curret issues in Linguistic Theory The Hague:Mouton,١٩٦٤.

ملاحظتها، والتنبؤ بأخرى؛ عن طريق قوانين عامة في صيغة مفاهيم فرضية؛ مثلما هو الحال بالنسبة إلى الإلكترون والكتلة» (١).

ويعد هذا المنحى التفسيري لدى تشومسكي والتحويليين من العلامات الفارقة بينه وبين الوصفيين والسلوكيين.

المبحث الخامس: التمييز بين الأصل والفرع:

كان الخليل بن أحمد دائم التمييز بين الأصل والفرع في ألفاظ اللغة وتراكيبها؛ وذلك أنه كان ينظر إلى اللغة على أنها شجرة ذات أصل وفروع، أو بعبارة التحويليين: ذات بنيتين سطحية وعميقة، وقد مكنه ذلك من رد كثير من التحويلات اللغوية إلى أصول معروفة، ونماذج مألوفة.

ومن ذلك: أنه كان يرى أن الإعلال إنما ثبت في «تغازَيْنا» و «تداعَيْنا»، مع أن المضارع منهما لا كسر قبل آخره؛ لأنه ثبت قبل مجيء التاء في أوله، وهو «غازينا» و«داعينا» حملًا على «نغازِي» و «نداعِي»، ثم استصحب معها» (٢).

وكان يرى أن الأصل في «يُخرج» أن تثبت الهمزة؛ يعني: «يؤخرج»، فحذفت استثقالًا لها(٣).

وكان كثيرًا ما يرد الكلمات إلى أصولها؛ فهو يقول عن قولهم: «إن أمسَك قد مضى»: «كأنهم لما أضافوا ردوه إلى الأصل» (٤)، وهو يعني أن «أمس» مبني أصله الإعراب، وأن الإضافة في مثل هذا التركيب قد ردته إلى الأصل،

---

(١) راجع .N.chomsky:structures syntaxiques. p ٥٥.

(٢) انظر: شرح الأشموني لألفية ابن مالك ١٠٧/٤.

(٣) انظر: أدب الكاتب ٤٩٤، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، مصر، ط٤، ١٩٦٣.

(٤) الكتاب ١٨٤/٢.

وهو الإعراب، وقد فسر الخليل ذلك في موضع آخر بأن الأصل في كسرة «أمسِ» أنها كسرة الجر في قولهم «بالأمسِ».

ومن الرجوع إلى الأصل عنده: أنه كان يرى أن أصل كلمة «حيوان»: «حييان»، فقلبت الياء الثانية واوًا للمخالفة، ولتجنب توالي المثلين (١).

ومن الرد إلى الأصل عنده أيضًا: نصب المنادى المضاف؛ فهو يرى أنه نصب؛ لأن الأصل في النداء النصب؛ لأنه بمنزله المفعول به، فقال عنه: كأنهم لما أضافوا ردوه إلى الأصل (٢).

وهو يرى أن «دهديت» محول عن «دهدهت»، فأبدلت الياء من الهاء لشبهها بها، وأنها في الخفاء والخفة نحوها (٣).

وعلى نحو من ذلك كان الخليل يرى أن للجملة العربية أصلًا ثابتًا من حيث الترتيب والتكوين، وأن كل ما خالف هذا الأصل هو نوع من التحويل ينبغي أن يرد إليه، فهو يذكر أن قولك: «هذا شاة»، و «هذا رحمة» صورة محولة عن قولهم: «هذا شيء شاة»، و «هذا شيء رحمة»(٤). فهو هنا يرد البنية السطحية إلى البنية العميقة، ويؤول ما خالف الأصل لتسلم له القاعدة.

ويذهب الخليل إلى أن جملة: «ما أحسن عبد الله!» بمنزلة قولك: «شيء أحسن عبد الله!»، ودخله معنى التعجب. قال سيبويه: «وهذا تمثيل ولم يتكلم به» (٥). فهو هنا يفترض أصلا مهجورًا.

---

(١) انظر: سر صناعة الإعراب ٢١١/١، تحقيق د حسن هنداوي، دمشق، دار القلم ١٩٨٥م.

(٢) السابق نفسه.

(٣) انظر: الكتاب ٣٩٣/٤.

(٤) انظر: الأصول في النحو لابن السراج ٤٢٨/٢.

(٥) الكتاب ٧٢/١.

ويفسر قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ [المؤمنون: ٥٢] في قراءة فتح الهمزةعلى حذف اللام؛ أي: و «لأن هذه أمتكم» (١)، ويرى أن المراد من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾﴾ [هود: ٢٥] هو «بأني لكم» (٢).

وكان الخليل يفترض أصلا لكثير من الكلمات التي يراها غيره بسيطة، فعنده أن «لن» مركبة في الأصل من «لا» و «أن» الناصبة للمضارع، فحذفت الهمزة وألف «لا»، قال سيبويه: «فأما الخليل فزعم أنها -أي «لن» - «لا أن»، ولكنهم حذفوا لكثرته في كلامهم (٣)، وعنده أن «كأن» مركبة في الأصل من «كاف» التشبيه و «أن»، قال سيبويه: «وسألت الخليل عن «كأن»، فزعم أنها «أن»، لحقتها الكاف للتشبيه، ولكنها صارت مع «أن» بمنزلة كلمة واحدة» (٤).

وكان يرى أن «مهما» مركبة من «ما ما»، فأبدلت ألف الأولى هاء، وجعلوهما كالشيء الواحد. قال سيبويه: «وسألت الخليل عن «مهما»، فقال: هي «ما»، أدخلت معها «ما» لغوًا بمنزلتها مع «متى» إذا قلت: «متى ما تأتيني آتك»، وبمنزلتها مع «إن» إذا قلت: «إن ما تأتني آتك» ...» (٥).

وعلى نحو من ذلك كان الخليل يرى في «هلا» أنها مركبة من «هل» الاستفهامية و «لا» النافية، فصارت بعد التركيب أداة للتحضيض، وفي «لولا» و «لوما» أن الأولى مركبة من «لو» و «لا»، والثانية مركبة من «لو»

(١) انظر: السابق ٢٦٧/١. وكسر الهمزة قراءة الكوفيين، وقرأها الباقون بالفتح راجع شرح طيبة النشر لابن الجزري٢٨٣.
(٢) انظر: السابق ٢٦٧/١.
(٣) السابق ٤٠٧/١.
(٤) السابق ٤٧٤/١.
(٥) السابق ٤٣٣/١.

و «ما»، وقد صارتا بعد التركيب أداتين للتحضيض أو للشرط، وفي «كأي» أنها مركبة من «كاف» التشبيه و «أي»، وفي «كذا» أنها مركبة من «كاف» التشبيه و «ذا». وفي «لعل» أنها مركبة من اللام و «عل»، والحجة في ذلك استعمالهم إياها بلا لام (١).

ومن مظاهر الاعتداد بالأصل عنده أيضًا: ما يسمى بالإعراب على الموضع؛ كقول رجل من بني مدحج (٢):

هذا لعَمرُكم الصَّغارُ بعينِهِ لا أمَّ لي إن كان ذاك ولا أبُ

حيث عطف المرفوع، وهو «أب»، على المفتوح، وهو «أم»، فزعم الخليل: أن هذا يجرى على الموضع لا على الحرف الذي عمل في الاسم، كما أن الشاعر حين قال (٣):

فَلسْنَا بالجِبال ولا الحَديدَا

أجراه على الموضع.

ومن ذلك أيضا قول العرب: «لا مالَ له قليلٌ ولا كثير»، رفعوه على الموضع.

وهكذا يمضي الخليل في تحليله لأدوات اللغة وألفاظها إلى عناصرها البسيطة، وكأنه يرى اللغة لوحة من الفسيفساء ركبت من عناصر دقيقة، ولا شك أن نظرته إلى هذه الأدوات والتراكيب على هذا النحو هي نظرة تحويلية.

---

(١) انظر: السابق ٦٧/٢.

(٢) من الوافر لعقيبة الأسدي في الكتاب ٦٧/١، ومغني اللبيب ٦٣١/١، وشرح الكافية للرضي٣٨٠/١. وتمامه: مُعاوِيَ إنَّنا بَشَرٌ فأسجِحْ ... فلَسْنا بالجبالِ ولا الحدِيدَا.

(٣) البيت من الكامل لرجل من مدحج في كتاب سيبويه٢٩٢/٢، ولهني بن الأحمر الكناني في الحماسة البصرية١٤/١، ولضمرة بن جابر في خزانة الأدب٣٨/٢.

إن هذا الاتجاه من الخليل بن أحمد في التمييز بين الأصل والفرع يلتقي مع ما تنادي به النظرية التحويلية من ضرورة التمييز بين البنيتين العميقة والسطحية؛ لأن مفهوم التحويل يُعتمد عندما تفيد أكثر من جملة واحدة المعنى ذاته بالرغم من تباين تراكيبها، فنقول: إن هذه متحولة من جملة واحدة كامنة في مستوى البنية العميقة؛ فإذا نظرنا مثلا الجمل الآتية فسنجد أنها ترجع رغم اختلافها إلى معنى واحد وبنية عميقة واحدة.

- «ضرب خالد سعيدًا».
- «خالد ضرب سعيدًا».
- «سعيدًا ضرب خالد».
- «سعيدًا خالد ضرب».
- «ضرب سعيدًا خالد».
- «خالد سعيدًا ضرب».

فالمعنى الذي تدور حوله هذه الجمل هو أن ضربًا وقع من خالد على سعيد، والبنية العميقة هي (فعل + فاعل+ مفعول)، وأن هذه الصور المتعددة إنما هي احتمالات وإمكانات يتيحها النظام اللغوي للمتكلمين باللغة [١].

لقد لاحظ تشومسكي أن البنية السطحية يعتريها كثرة من التغيرات والانحرافات عن القواعد الأساسية، على حين تتمتع البنية العميقة بالثبات وموافقة القواعد؛ ومن ثم تختلف البنية السطحية من لغة إلى أخرى، ومن متكلم إلى آخر، بينما تتفق اللغات، ويتفق المتكلمون في البنية العميقة.

ويعد التمييز بين البنيتين العميقة deep structure، والسطحية sureface structure من الدعائم الأساسية في الفكر التحويلي عند تشومسكي، وهما ينبثقان من فكرتي الكفاية اللغوية والأداء الكلامي؛ حيث يقصد بالبنية

(١) راجع في هذه الأمثلة مدخل إلى اللسانيات للدكتور محمد محمد يونس، ٨٧.

السطحية " البنية الظاهرة عبر تتابع الكلمات التي ينطق بها المتكلم" [١] . أما البنية العميقة فهي "القواعد التي أوجدت هذا التتابع أو البنى الأساسية التي يمكن تحويلها لتكون جمل اللغة. وهذه القواعد أو البنى الأساسية تبين تكوين الجمل في مستوى أعمق من المستوى الظاهر في عملية التكلم" [٢].

* *

(١) الألسنية المبادئ والأعلام ٢٦٧، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٣م. وينظر: مباحث في النظرية الألسنية ١١١.

(٢) الألسنية المبادئ والأعلام، ص ٢٦٧.

الفصل الثاني

الخصائص اللغوية عند الخليل بن أحمد

في ضوء النظرية التحويلية

المبحث الأول: الحذف والتقدير:

كان الخليل بن أحمد يرتكز إلى تقدير المحذوفات في كثير من تحليلاته اللغوية وتوجيهاته الإعرابية؛ وذلك أن اللغة في اعتقاده كائن متحرك، وأن ما يظهر على السطح يختلف عما يستقر في الأعماق، فهو دائم التمييز بين الأصل والفرع، وهو في ذلك يلتقي مع التوليديين الذين يرون أن للجملة بنيتين: سطحية وعميقة، وأن اللغة لا يمكن النظر إليها إلا من خلال هاتين البنيتين.

لقد روى الخليل أن ناسًا من العرب يقولون: «إن بك زيد مأخوذ»، ففسره على أن التقدير: «إنه بك زيد مأخوذ» (١)، وبهذا يكون قد حل الإشكال في هذا المثال، وهو رفع اسم «إن»؛ لتسلم له القاعدة، وهي أن اسم «إن» منصوب، والضمير الذي قدره هنا هو ضمير الشأن.

ومن ذلك: أنه كان يرى في قولهم: «ما يحسن بالرجل مثلك أن يفعل ذاك»، و «ما يحسن بالرجل خير منك أن يفعل ذاك»؛ أنه على نية الألف واللام، ولكنه موضع لا تدخله الألف واللام، كما كان «الجماء الغفير» منصوبًا على نية إلقاء الألف واللام» (٢). ومراعاة نية المتكلم وقصده هو من دواعي التقدير.

وكان الخليل يقدر في قولهم: «رجل صوم»، و «رجل عدل» مضافًا محذوفًا، فالتقدير عنده: ذو صوم» (٣).

---

(١) الأصول في النحو لابن السراج ٢٤٥/١.
(٢) الكتاب لسيبويه ٩٢/١.
(٣) انظر: العين ١٧٢/٧(صوم).

وفي قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٦٩] كان يرى أن تقدير الكلام: «ثم لننزعن من كل شيعة الذي يقال له أيهم أشد»؛ فيخرجه على الحكاية (١)، ويجعل «أيا» استفهامية محكية بقول مقدر. وخالفه سيبويه وقال: إن «أيا» موصولة مبنية على الضم، وصدر صلتها ضمير محذوف، والتقدير «أيهم هو أشد»، و«أشد» خبر المبتدأ. ووافق يونس الخليل في أنها استفهامية، لكنه خالفه في المفعول؛ حيث يرى أنها الجملة بأسرها جملة: «أيهّم أشد»، وأن «ننزع» علق عن العمل فيها، والتعليق في رأيه ليس منحصرًا في أفعال القلوب، ومثل هذه الآية عند الخليل قول الأخطل (٢):

ولقد أبيتُ من الفتاة بمنزل ... فأبيتُ لا حرجٌ ولا محرومُ

حيث زعم أن التقدير: «فأبيت بمنزلة الذي يقال له: لا حرج ولا محروم». قال سيبويه: «وقال الخليل: كأنه حكاية لما كان يتكلم به قبل ذلك، فكأنه حكى ذلك اللفظ» (٣).

إن الخليل هنا ينظر إلى اللغة على أنها كيان عضوي واحد، وأن كل جملة إنما هي مقتطعة من سياق مماثل لها وأصل تفرعت عنه.

ومما قدره الخليل قوله تعالى: (ٱنتَهُواْ خَيۡرًا لَّكُمۡ) [النساء: ١٧١]، قال: «كأنك قلت: «انته، وادخل فيما هو خير لك»، فنصبته؛ لأنك قد عرفت أنك إذا قلت له: «انتهِ» أنك تحمله على أمر آخر؛ فلذلك انتصب» (٤).

---

(١) انظر: الكتاب ٣٩٩/٢، والأصول في النحو لابن السراج ٣٢٤/٢.

(٢) من الكامل في ديوانه ٢٧١، والكتاب ٣٩٩/٢، وشرح ديوان الحماسة ٣٨٧، وخزانة الأدب ١٣٧/٦، ورواية الديوان:

ولقد أكونُ من الفتاة بمنزلٍ *** فأبيتُ لا حرجٌ ولا محرومُ

(٣) الكتاب ٨٥/٢.

(٤) السابق ٢٨٣/١.

وقد بحث تشومسكي في نظريته التوليدية ظاهرة الحذف تحت ما يسمى بالمقولات الفارغة، والأثر، ورأى أنه من مظاهر الاختلاف بين البنيتين العميقة والسطحية، كما رأى أن تقدير المحذوف يحقق الربط بين أجزاء التركيب، ويسهم في تفسير الاختلاف بين البنيتين، وقد ضرب لذلك أمثلة من الإنجليزية منها هذا المثال: The man I saw، الذي يجب أن يكون التمثيل الحقيقي له I [VP the man Saw e]؛ حيث المقولة الفارغة e مركب اسمي يقع مفعولا به للفعل See، ويقابل هذا في اللغة العربية قولنا: «الرجل الذي رأيت»؛ حيث حذف مفعول «رأيت»، وهو عائد جملة الصلة، ويكون التركيب الأساسي للجملة: «الرجل الذي رأيته».

كما تحدث تشومسكي عن نظرية الأثر، ويعني به موقع الضمير المحذوف كما في هذه الأمثلة (١).

«الرجل الذي رأى جون». (I) the man [who john saw e])

« أتساءل عمن رأى جون». (ii) I wonder [who john saw e])

حيث «جون» في المثالين هو الفاعل، ومفعول «رأى» في المثالين الأول والثاني ضمير محذوف.

وينبغي الإشارة إلى أن النحاة العرب قد فرقوا بين ما يسمى بالاسم الفارغ والاسم ذي الضمير المستكن، يقول ابن مالك (٢):

وَالمُفْرَدُ الجَامِدُ فَارِغٌ وَإِنْ يُشْتَقَّ فَهْوَ ذُو ضَمِيرٍ مُسْتَكِنْ

وهذا من مواضع الالتقاء التي تشير إلى احتمال تأثر النحو التوليدي بالنحو العربي.

---

(١) راجع: المعرفة اللغوية ١٤٦، مع تعليقات أستاذنا الدكتور محمد فتيح.

(٢) ألفية ابن مالك باب الابتداء ١٦، دار الكتب العلمية، بيروت.

المبحث الثاني: الزيادة

تمثل الزيادة في فكر الخليل بن أحمد سمة منهجية واضحة، فهو يقول بها في كثير من الكلمات التي ظاهرها الأصالة، ويرد على أساسها كثيرًا من الكلمات إلى أصول أبسط منها، وكثيرًا من الكلمات القريبة إلى أصول معروفة، كما يقول بها في المعربات والمبنيات، والمفردات والجمل.

فمن ذلك: أنه وضع قاعدة عامة في أول كتابه «العين» قال فيها: «وليس بعد الخماسي باب؛ لأنه ليس للعرب بناء في الأسماء والأفعال أكثر من خمسة أحرف، فمهما وجدت زيادة على خمسة أحرف في فعل أو اسم فاعلم أنها زائدة على البناء؛ نحو: «قرعبلانة»، إنما هو «قرعبل»، ومثل «عنكبوت»، إنما هو «عنكب» (١).

ويرى أن النون في «الحيزبون» – وهي العجوز– زائدة؛ كنون «الزيتون» (٢). وهذه الإشارة من الخليل إلى زيادتها في «الزيتون» تدل على أن الكلمات العربية عنده ذات أصول واحدة، وأنه يشتق بعضها من بعض، كما يرى أن التاء في «طاغوت» زائدة، وأنه مشتق من «طغى» (٣).

ومن القواعد العامة التي يضعها للزيادة قوله: «ولا تجيء كلمة في أولها ألف فتكون أصلية إلا أن تكون ثلاثة أحرف مع الألف؛ مثل «الأرض»، و «الأمر»» (٤).

وبناء على ذلك ذهب الخليل إلى أن الألف في «أرنب» زائدة، وذكر سيبويه من ذلك أيضًا: «أفكل»، و «أزمل»، و «أربع». وعبر سيبويه عن

---

(١) العين ١٦/١.

(٢) السابق ١٦٥/٣.(حزب).

(٣) انظر: السابق ٤٣٦/٤.(طغي).

(٤) السابق ٢٦٨/٨.(رنب).

قاعدة الخليل بعبارة مماثلة فقال: «واعلم أن هذه الياء -يعني في «يعمل» و «يرمع»-والألف لا تقترن واحدة منهما في أول اسم على أربعة أحرف إلا وهما زائدتان» (١).

والنون في «عنتريس» زائدة عند الخليل؛ لأن العنتريس: الشديد، والعترسة: الأخذ بالشدة، فاستدل بالمعنى (٢).

وخلافًا لسائر النحاة كان الفراهيدي يذهب إلى أن أول الحرفين في المضعف هو الزائد معتمدًا على القياس على النظير، قال سيبويه: «سألت الخليل فقلت: «سُلَّم» أيتهما الزائدة؟ فقال: الأولى هي الزائدة؛ لأن الواو والياء والألف يقعن ثواني في «فوعل» و «فاعل» و «فيعل»، فهو هنا يستدل بالمعلوم على المجهول، وقال في «فعلل» و «فعلٍّ» ونحوهما الأولى هي الزائدة؛ لأن الواو والياء والألف يقعن ثوالث في نحو «جدول» و «عثير» و «شمأل»» (٣).

وهكذا نرى أن قياس المجهول على المعلوم هو المعول الأساسي في نظرة الخليل إلى ظاهرة الزيادة وغيرها من الظواهر اللغوية.

ومن القواعد التي أرساها فيما يتعلق بالزيادة: قاعدة أن الزائد أولى بالحذف، وقد طبق ذلك في نحو «مقول» و «مبيع» مما حذفت فيه واو المفعول، والأصل «مقوول» و «مبيوع»، فذهب الخليل إلى أن الواو الثانية هي المحذوفة؛ لأنها زائدة، والزائد أولى بالحذف من الأصلي، وذهب الأخفش إلى أن الأولى التي هي عين الكلمة هي المحذوفة (٤). ولا غرو أن ما ذهب إليه الخليل يتفق مع المنطق؛ لأن الأصلي أولى بالبقاء من الزائد.

---

(١) الكتاب ١٩٤/٣.
(٢) السابق ٤٤٥/٣.
(٣) السابق ٤/ ٣٢٩.
(٤) انظر المسألة في: الأصول في النحو لابن السراج، ٢٨٣/٣، والخصائص ٦٨/٢، وشرح شافية ابن الحاجب للرضي ١٤٧/٣.

ويرى الخليل أن أسماء الإشارة كلها ترجع إلى أصل واحد، وهو الذال؛ إذ يقول: «وأما «ذه»، و «ذي»، و «ذا»، في «هذه»، و «هذي»، و «هذا»؛ فأسماء مكنيات، وليس في البناء فيها غير الذال، والألف التي بعدها زائدة» (١).

كما يرى أن أصل الضمائر واحد؛ فالتاء في «أنت» زائدة لمجرد الخطاب، والأصل «أن»(٢). وعلى قياس الخليل يمكن القول: إن أصل ضمير الغائب الهاء وما بعدها زوائد؛ كالواو في «هو»، والياء في «هي»، والميم في «هم»، والنون في «هن»، وهكذا، والأمر كذلك في الكاف، فهي الأصل، وما يلحقها من الحروف زوائد؛ كالميم في «كم»، والنون في «كنَّ»، والميم والألف في «كما». وهذه النظرة تتوافق مع منهج الخليل الذي يقوم على رد المركب إلى البسيط، ورد الفروع إلى الأصول، وهو ما يتفق أيضا مع النظرة التحويلية التي تميز في اللغة بين بنية سطحية وبنية عميقة(٣).

وكان الخليل يقول بالزيادة على مستوى التراكيب؛ فهو يرى أن «لا» في قوله تعالى: ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [القيامة: ١] زائدة، وقد يسميها صلة، وكلاهما بمعنى واحد عنده؛ فقد ورد في «العين»: «وقد تجيء زائدة، وإنما تزيدها العرب مع اليمين؛ كقولك: «لا أقسم بالله لأكرمنك» إنما تريد أقسم» (٤).

ومن البين أن الزيادة هنا على مستوى الجملة، بل النص كاملًا، وليست على مستوى البنية المفردة.

---

(١) العين ٢٠٩/٨. (باب اللفيف من الذال).

(٢) انظر: الكتاب ٣٣٢/٣.

(٣) القول بأن الهاء وحدها هي الضمير في "هو"و"هي "مذهب الكوفيين والزجاج وابن كيسان، وأما البصريون فذهبوا إلى أن الكلمة بكمالها هي الضمير. راجع الإنصاف في مسائل الخلاف ٥٥٧/٢، وهمع الهوامع ٢٠٩/١.

(٤) العين ٣٤٩/٨. (باب اللفيف من اللام).

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الزمر: ٦٤] يرى الخليل أن جملة «تأمروني» مقحمة، أو لغو، أو جملة اعتراضية، وأن أصل الكلام «قل أفغير الله أعبد أيها الجاهلون»؛ قال الخليل: ««تأمروني»؛ كقولك: «هو يقول ذلك بلغني»، فـ «بلغني» لغو» (١).

وحكى سيبويه عنه زيادة «كان» في نحو قولهم: «إن من أفضلهم كان زيدًا»، ومنه قول الفرزدق (٢):

فَكيف إذَا رَأَيْتُ دِيارَ قَوْمٍ وجِيْرَانٍ لَنا كانُوا كِرامِ

ويرى أن بعض الأسماء قد تزاد في التركيب ولا تغير من الحكم الإعرابي شيئًا؛ كالنداء في: «يا تيم تيم عدي»؛ فـ «تيم» الثانية مقحمة، و الأولى منصوبة لإضافتها إلى «عدي» (٣).

وشبهه بالتاء في «طلحة»، واللام في «لا أبا لك». قال سيبويه: «وزعم الخليل: أن قولهم: «يا طلحة أقبل» يشبه: «يا تيم تيم عدي» من قبل أنهم لو لم يجيئوا بالهاء لكان آخر الاسم مفتوحًا» (٤). وفي هذا دليل على وعي الخليل بتماسك البنية اللغوية على مستوى الجملة كما هو على مستوى الكلمة، وهو من الركائز الأساسية التي اعتمدت عليها نظرية نحو النص المعاصرة.

وهكذا يتضح أن الخليل كان دائم التمييز بين التركيب الأصلي والتركيب العارض، والبنية العميقة والبنية السطحية؛ سواء على مستوى المفردات أم على مستوى الجمل.

---

(١) انظر: الكتاب ١٠٠/٣.

(٢) البيت من الوافر في الكتاب ١٥٣/٢، والمقتضب ١١٦/٤، وأوضح المسالك ٢٥١/١.

(٣) انظر: السابق ١٥٤/٢.

(٤) انظر: الكتاب ٢٠٧/٢.

وتعد الزيادة أحد أهم قواعد التحويل في النظرية التوليدية وتسمى عندهم الإضافة additionومثالها:

أ ⟵ أ+ ب

حيث تم زيادة الرمز «أ» بإضافة الرمز «ب» إليه، وتكون الزيادة في البنية السطحية، على حين يكون التركيب الأساسي في البنية العميقة كما في «هل عندكم من علم»: التي أصلها «هل عندكم علم». (١)

المبحث الثالث: القلب والإبدال:

تعد فكرة القلب من الأفكار الأساسية لدى الخليل بن أحمد، بل لا نبعد إن قلنا: إنه أقام منهجه على هذه الفكرة؛ فنظرية التقاليب هي أساس معجم «العين»، وهي التي هدته إلى حصر المعجمية العربية، واكتشاف العلاقات المعنوية بين ألفاظ اللغة؛ فهو يرى مثلا أن «لبيت» منقلب عن «لببت»؛ حيث قلبت الباء الثانية ياء استثقالًا للباءات؛ كما قالوا: «تظنيت» من الظن، وأصله «تظننت» (٢).

ويرى أن «عقاني» من معنى «عاقني» على القلب مستشهدًا بقول ذي الخرق الطهوي(٣):

لعاقــك عــن دُعــاء الذِئْبِ عاقــي (٤)

---

(١) راجع قواعد تحويلية للغة العربية للدكتور محمد علي الخولي ٢٤، الأردن، دار الفلاح ١٩٩٩م.

(٢) العين ٣٤١/٨. (لبي).

(٣) تمامه: فلو أني رَقيْتُكَ من قريبٍ ... لعاقك عن دُعاء الذِئْبِ عاق.

وهو في مجالس ثعلب ٦١ (طبعة هارون)، ولسان العرب ٨١/١٥ (عقا) منسوبًا إلى قريط بن أنيف، وتاج العروس ٣٧٠/٤ (ويب). ويروى "رميتك" بدل "رقيتك".

(٤) العين ١٧٣/٢. (عوق).

ويرى أن ياء «العيد» أصلها الواو، قلبت للكسرة قبلها، وهو من «عاد»، «يعود إليه»، ويقال بل سمى بذلك؛ لأنهم اعتادوه» (١). وكلمة «الدرياق» عنده منقلبة عن «الترياق»؛ فإن منهم من يقلب بعض التاءات في الصدور دالًا (٢)، والسبب في ذلك صوتي، وهو التأثر بالراء المجهورة.

كما يرى أن «أشياء» أصله «شيئاء»، فاستثقلت الهمزتان، فقلبت الأولى إلى أول الكلمة، فجعلت «لفعاء»، كما قلبوا «أنوق» فقالوا: «أينق»، وكما قلبوا «قووس» فقالوا «قسيّ» (٣).

وفي الناقص من نحو «رأى»، و «نأى»، و «ثأى»؛ ارتأى الخليل أن الألف تقدمت على الهمزة فانقلبن إلى «راء»، و «ناء»، و «ثاء» (٤).

وحكى سيبويه عن الخليل أن «مسائيه» مقلوبة من (٥) «مساوئه»، فكرهوا الواو مع الهمزة؛ لأنهما حرفان مستثقلان، ومثل هذا في القلب «طأمن» و «اطمأن» (٦).

وحكى ابن السراج عن الخليل أن الحيوان قلبت فيه الياء واوًا؛ لئلا تجتمع ياءان استثقالًا للحرفين من جنس واحد يلتقيان» (٧).

وكان الخليل يذهب إلى أن اسم الفاعل من «جاءَ» و «شاءَ»: «جاءٍ» و«شاءٍ»، على وزن «فالٍ»، وأن المحذوف هو العين على القلب؛ أي: تقديم اللام على العين، فالأصل: «جائئ» بهمزتين، ثم أبدلت الهمزة الثانية ياء،

---

(١) انظر: السابق ٢/٢١٩.(عود).
(٢) السابق ٤/٣٣. (هتر).
(٣) السابق ٦/٢٩٦، ٢٩٧.(شيأ).
(٤) السابق ٨/٢٥١.
(٥) الكتاب ٤/٣٨٠.
(٦) انظر: السابق ٤/٣٨١.
(٧) انظر: الأصول في النحو ٣/٣٨٥.

فصار «جائي»، فيرى النحويون أن اللام حذفت، فصارت الكلمة «جاءٍ» على وزن «فاعٍ»، إلا الخليل بن أحمد؛ فإنه يقول: المحذوف العين؛ لأنهم يفرون إلى القلب فيما كانت فيه همزة واحدة استثقالًا لها، فيقدمون لام الفعل، ويؤخرون الهمزة التي هي عين فيما لا يهمز فيه غيرها، ويحتج بقول طريف بن تميم (١):

فَتَعرَّفوني أَنَّني أَنَا ذَاكُمُ شاكٍ سلاحي في الْحَوَادِثِ مُعْلِمُ

يريد «شائك»؛ أي: «ذو شوكة». وهكذا يمضي الخليل على هذا المنوال في كل ما كان على نحو هذا، ويرى المبرد أن كلا القولين حسن جميل (٢).

وعلى الرغم من غرابة رأي الخليل في هذه المسألة، ومخالفته لسائر النحويين؛ فإننا نرى له وجهًا، وهو يتوافق مع منهج الخليل من رد المجهول إلى المألوف، فالمألوف في هذا اللفظ هو كلمة «جاء»، فالمتكلم في رأي الخليل ينقل هذا اللفظ بكامله إلى اسم الفاعل، وهو لا يفكر أي الهمزتين هو المحذوف؟ فهو يتعامل مع مقطع صوتي مألوف بالنسبة له، وهذا المقطع يشتمل على الفاء واللام؛ فلذلك رأى الخليل أن الهمزة التي هي لام الكلمة هي الباقية، والمحذوفة هي العين التي كانت معلة في الفعل. وسبب آخر، وهو أن الألف التي في «جاء» أقبل للحذف من الهمزة؛ لأنها أضعف منها.

وعلى أي؛ ففي هذه الأمثلة ما يكفي للدلالة على مبلغ تمكن فكرة القلب من عقل الخليل حتى صار منهجًا عنده، وليس مجرد أمر عابر، ولا غرو أن هذا النحو من التفكير هو نهج تحويلي؛ لأنه يرد البنية السطحية إلى بنية عميقة تفسرها، ويرى دومًا أن اللغة في حالة تقلب وتحول، غير أن هذا التحول يرد إلى أصول معروفة، وقواعد مألوفة.

---

(١) من الكامل لطريف بن تميم في الأصمعيات ١٢٨، والكتاب ٤٦٦/٣، ولطريف العنبري في لسان العرب ٢٣٧/٩ (عرف). ويروى فتوسموني بدل تعرفوني.

(٢) انظر: المقتضب ١١٦/١.

ومن عمليات التحويل التي حددها التحويليون عملية التبادل (Permutation) فمثلا: أ + ب ⟵ ب + أ .

وهي تتوافق مع فكرة القلب التي أخذ بها الخليل في كثير من مسائله.

المبحث الرابع: العناية بالمعنى:

كان الخليل يولي المعنى اهتمامًا كبيرًا في بحوثه اللغوية عامة، وفي المسائل التحويلية خاصة، ومن ذلك ما يلي:

١-تذكير المؤنث:

حيث أشار إلى أن المذكر قد يوضع موضع المؤنث لإفادة معنى خاص؛ كقوله تعالى: (ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ) [المزمل: ١٨]؛ فقد زعم أنه كقولك: «معضل» للقطاة، وكقولك: «مرضع» للتي بها الرضاع، وأما «المنفطرة» فيجيء على العمل (١).

ويريد الخليل أن المعنى قد يكون في الشيء بالقوة، وقد يكون فيه بالفعل؛ فإن كان فيه بالقوة كان اللفظ مذكرًا؛ كقولنا: «السماء منفطر»؛ يعني أنها مهيأة للانفطار ومستعدة له؛ كقولنا: «هذه امرأة مرضع»؛ أي: فيها الاستعداد للإرضاع، أما إذا كان المعنى حاصلا بالفعل فيكون اللفظ مؤنثًا؛ كقولنا: «فلانة مرضعة»؛ أي: تباشر الإرضاع، وهذا يشبه تمييز تشومسكي بين المقدرة والأداء؛ حيث تعني المقدرة عنده استعداد الإنسان للاستخدام اللغوي، على حين يعني الأداء الاستخدام اللغوي بالفعل.

وهذان المصطلحان: الكفاءة والأداء يمثلان حجر الزاوية في النظرية اللغوية عند تشومسكي، إن الأداء أو السطح يعكس الكفاءة؛ أي: يعكس ما

(١) انظر: الكتاب ١/١٠٠.

يجرى في العمق من عمليات، ومعنى ذلك أن اللغة التي ننطقها بالفعل إنما تكمن تحتها عمليات عقلية عميقة (١).

٢-إجراء غير العاقل مجرى العاقل:

وقد اعتمد الخليل على المعنى أيضًا في تفسير تحول الاستخدام اللغوي من غير العاقل إلى العاقل في نحو قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء: ٣٣]، و ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [يوسف: ٤]، و ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨]؛ حيث ذكر أن هذه الأشياء بمنزله ما يعقل؛ لأنها وصفت بالسجود، ووصف النمل بالتحدث، ووصفت الأشياء الفلكية بالطاعة، فجعلت بمنزلة من يعقل من المخلوقين ويبصر الأمور (٢).

وفي هذا من الخليل ربط بين اللغة والفكر، وهي سمة يتميز بها أيضًا النحو التحويلي كما أسلفنا.

٣-جمع «فَعْـلى» على غير قياس:

الأصل في جمع «فَعْلى» أن يكون جمعًا لـ «فعيل» بمعنى «مفعول»؛ مثل: «قتيل» «قتلى»، و «جريح» «جرحى»، لكن ورد في لغة العرب أسماء جمعت هذا الجمع، وليست بمعنى «مفعول»، بل بمعنى «فاعل»؛ مثل: «مريض» «مرضى»، و «هالك» «هلكى»، و «ميت» «موتى»؛ فيرى الخليل أنهم قالوا: «مرضى» و «هلكى» و «موتى»؛ لأن ذلك أمر يُبتلون به، وأدخلوا فيه وهم له كارهون، وأصيبوا به، فلما كان المعنى معنى المفعول كسروه على هذا المعنى» (٣).

---

(١) انظر: النحو العربي والدرس اللغوي الحديث للدكتور عبده الراجحي ١١٥.

(٢) انظر: الكتاب ٦٤٨/٣.

(٣) انظر: السابق ١٠٠/١.

فهنا نلاحظ أن الخليل اعتمد على المعنى في تفسير ما خالف القياس في جمع «فعلى»، وهذه المخالفة فيها تحول عن الأصل على مستوى البنية الصرفية.

٤-تصحيح الواو في بعض ما جاء على وزن «افتعلوا»:

صحت الواو في «اجتوروا»، و «اعتونوا»، و «ازدوجوا»، و «اعتوروا» رغم تحركها وانفتاح ما قبلها، فرأى الخليل أنها ثبتت؛ لأن هذه الأفعال في معنى «تفاعلوا»؛ مثل: «تعاونوا»، و «تجاوروا»، و «تزاوجوا»، فالمعنى في هذا و «تفاعلوا» سواء [١]، وفي هذا اعتماد على المعنى في تفسير تحول الصيغة الصرفية عن الأصل والقياس.

ومن المقرر أن النظرية التوليدية التحويلية ترتكز في الربط ما بين البنية العميقة والبنية السطحية على العلاقة بين الصوت والمعنى الدال عليه؛ فالقواعد في اللغة ما هي إلا نظام من القوانين التي تعبر عن التطابق بين الصوت ومعناه داخل اللغة.

و (الكفاية اللغوية) (Competence) عند (تشومسكي) تشير «إلى قدرة المتكلم (السامع المثالي) على أن يجمع بين الأصوات اللغوية وبين المعاني في تناسق وثيق مع قواعد لغته»[٢].

٥-التمييز بين التراكيب الصحيحة وغير الصحيحة:

كان الخليل بن أحمد مهتمًّا بالتمييز بين الصحيح وغير الصحيح من التراكيب النحوية، كما نجد عنده ثنائية المستعمل والمهمل، وهي نتيجة من نتائج نظرية التقاليب اللغوية التي طبقها على مستوى المعجم؛ حيث كان يقلب حروف الكلمة المفردة على أوجهها الممكنة بالتقديم والتأخير؛ فينتج له من الكلمة

---

(١) انظر: السابق ٣٤٧/٤.

(٢) The formal Nature of Language P: ١٢٦, Seuil, ١٩٦٩.

الثلاثية ستة أوجه؛ مثل: «علن»، «عنل»، «لعن»، «لنع»، «نعل»، «نلع»، فينكشف له أن بعضها مستعمل وبعضها مهمل، والمستعمل من هذه الأوجه ثلاثة: «علن»، و «لعن»، و «نعل».

وكان الخليل يفكر بالطريقة نفسها في تحليله للتراكيب العربية، فوجدناه يفترض كثيرًا من التراكيب، ثم يحكم عليها بالإحالة، أو القبح أو الحسن.

فمن ذلك أنه أجاز أن يقال: «إن من أفضلهم كان زيدًا» على زيادة «كان»، لكنه رفض أن يقال: «إن من أفضلهم كان رجلا»؛ لأنك لو قلت: «إن من خيارهم رجلًا»، ثم سكت؛ كان قبيحا حتى تعرفه بشيء [١]. ومعيار الرفض والقبول هنا هو صحة المعنى.

ومنه: أنه حكم على قولهم: «ربحت الدرهم درهما» بأنه محال، لكنه أجاز أن يقال: «ربحت الدرهم في الدرهم»، أو «للدرهم» [٢]، وسبب الإحالة واضح، وهو فقدان منطقية الجملة؛ لأن قولهم: «ربحت الدرهم درهما» يقتضي أن الدرهم يربح درهما من ذات نفسه بلا عمل أو مقابل أو نحو ذلك.

ومما منعه الخليل أيضًا: وصف اسمين مختلفين تعريفا وتنكيرا في نحو: «هذه ناقة وفصيلها الراتعان»؛ لأن «الراتعان» لا يكون للفصيل ولا للناقة، ولا تستطيع أن تجعل بعضهما نكرة، وبعضهما معرفة [٣].

وتعد مسألة التمييز بين التراكيب الصحيحة وغير الصحيحة قضية محورية في النظرية التحويلية، وهي مترتبة على القول بإبداعية اللغة.

لقد لفت تشومسكي الأنظار إلى أن المتكلم الطبيعي بلغة ما، أو حتى الطفل الصغير؛ يستطيع أن ينتج عددًا غير محدود من التراكيب اللغوية من

---

(١) انظر: الكتاب ١/١٢٢.

(٢) انظر: السابق ١/٨٠.

(٣) انظر: السابق ١/٩٢.

خلال معرفته بعدد محدود من الجمل، وقد استنتج من ذلك أن لدى الفرد قدرة فطرية تمكنه من فهم اللغة، وإنتاجها بطريقة مبتكرة، وأن هذه القدرة خاصة من خصائص النوع البشري، وما دامت الملكة اللغوية لدى الفرد تتمتع بهذه الخاصية الابتكارية؛ فمن المتوقع أن ينتج عنها ما لا حصر له من التراكيب، وأن تكون هذه التراكيب جامعة بين المقبول والمرفوض، والصحيح والسقيم من الجمل، وهنا يأتي دور القواعد التوليدية في تمييز ما يقبل وما يرفض، وما يحسن وما يقبح.

ولقد رأى تشومسكي في مؤلفه الرئيسي «البنى النحوية» أن هدف أي تحليل لغوي أن يفصل الجمل النحوية في اللغة المعنية عن الجمل غير النحوية، وأن يشير إلى بنية الجمل النحوية(١).

ويبين تشومسكي ذلك من خلال الأمثلة الآتية:

١-Colorless green Ideas sleep furiously.

(الأفكار الخضراء التي لا لون لها تنام بشدة).

٢-Furiously, sleep ideas green colorless.

(بشدة تنام الخضراء التي لا لون لها الأفكار) (٢).

فالجملة الأُولى " يدرك المتكلم –السامع الإنجليزي بأنها بـــلا معنـــى، ولكنها تنتظم كلماتها طبقاً لقواعد اللغة الإنجليزية، ويدرك أن (المثال الثـــاني) جملة بلا معنى ولا انتظام في مفرداتها طبقاً لقواعد النحو في اللغة الإنكليزية، فليست جملة نحوية " ويقول تشومسكي: " تبيّن من هذه الأمثلة أن أي بحث عن

---

(١) انظر: تاريخ علم اللغة الحديث لجرهارد هلبش ٤٧٧، ترجمة الدكتور سعيد حسن بحيري. ط١، القاهرة، ٢٠٠٣م.

(٢) البنى النحوية ص ١٩–٢٠ .

تعريف لـــ(القواعدية) يعتمد على الدلالة يكون عقيماً ... لذا أعتقـــد أنـــه لا مناص من القول أن نظام القواعد مستقل عن المعنى " [١] .

وهكذا يتضح أن القبول والرفض قد يتعلق بنحوية الجملة، وقد يتعلق بدلالتها؛ وهو ما لاحظناه أيضًا لدى الخليل بن أحمد.

٦-العناية بأنواع الدلالة:

يمكن أن نلتمس عند الخليل أربعة أنواع من الدلالات:

أ. الدلالة الصرفية.

ب. الدلالة التركيبية.

ج. الدلالة الخارجية.

د. الدلالة التداولية.

أ. الدلالة الصرفية:

كان الخليل بن أحمد يعلل لخروج بعض الأفعال عن قياس نظائرها في الإعلال بمقايستها بالأفعال المتفقة معها في المعنى؛ ففي نحو «اجتوروا»، و «اعتونوا»، و «ازدوجوا»، و «اعتوروا» زعم الخليل أن تصحيح الواو ثبت؛ لأن هذه الأفعال في معنى «تجاوروا»، و «تعاونوا»، و «تزاوجوا»، فالمعنى في هذا و «تفاعلوا» سواء [٢].

وفي قوله تعالي: (ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ) [المزمل: ١٨] زعم أنه كقولك: «مرضع» للتي بها الرضاع، وأما «المنفطرة» فيجيء على العمل؛ كقولك «مرضعة» للتي ترضع [٣]. والمقصود أن كلمة «منفطر» تدل على الانفطار بالقوة الكامنة، أما «منفطرة» فتدل عليه بالفعل.

---

(١) السابق نفسه .

(٢) انظر: الكتاب ٤٢٢/١.

(٣) انظر: الكتاب ٤٧/٢.

وفي هذا دليل على مراعاة الخليل لعلاقة اللفظ بالمعنى، ويثبت في الوقت نفسه أنه كان يربط بين اللغة والفكر، وهو ما تنادي به النظرية التحويلية في مختلف مراحلها.

إن أحد التغيرات التي طرأت على تفكير تشومسكي في الستينيات أن مفهومه للقواعد توسع ليشمل مركبا دلاليًّا، وأصبحت القواعد التوليدية -كما صاغها تشومسكي في سلسلة المحاضرات التي ألقيت في صيف ١٩٦٤م-نظاما من القواعد تربط الرموز الصوتية بتغيرات دلالية لهذه الرموز (١).

ومن أقوال تشومسكي الدالة على عنايته بالمعنى قوله: «لا تتمايز قولتان فونيميًّا إلا إذا اختلفتا في المعنى» (٢). «الجمل القواعدية هي الجمل التي لها فحوى دلالي» (٣).

ب-الدلالة التركيبية:

كان الخليل بن أحمد يلجأ دائما إلى تفسير التراكيب الغامضة تفسيرا دلاليا بافتراض بنية عميقة على نحو ما نجد لدى التحويليين؛ فهو يرى أن قولك: «ما أحسن عبد الله!» في التعجب بمنزلة قولك: «شيء أحسن عبد الله!»، ودخله معنى التعجب، وعنده أن هذا تمثيل ولم يتكلم به (٤).

وكان يفسر ما يمكن أن يسمى بـــ "**العدول الإعرابي**" تفسيرا دلاليا، ومن ذلك: تفسيره لتراكيب النعت المقطوع فيما قال سيبويه: «وزعم الخليل أنه

---

(١) راجع في التطور الدلالي للنظرية التوليدية التطورات النظرية والمنهجية للنظرية التوليدية في نصف قرن، للدكتور حمدان رضوان، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، أكتوبر ٢٠٠٧، العدد ٣، ص ١٢٥.

(٢) البنى النحوية ١٢٤.

(٣) السابق ١٢٥.

(٤) الكتاب ٧/١.

يقول: «مررت به المسكينُ» على البدل، وفيه معنى الترحم وبدله؛ كبدل «مررت به أخيك» (١).

وكان الخليل يقول: إن شئت رفعته من وجهين فقلت: «مررتُ به البائسُ»؛ كأنه لما قال: «مررت به»، قال: «المسكينُ هو»؛ كما يقول مبتدئا: «المسكين هو»، و «البائس أنت»، وإن شاء قال: «مررت به المسكينَ»؛ كما قال: «بنا تميمًا يكشف الضباب»، وفيه معنى الترحم (٢)، وقال أيضا: «يكون مررت به المسكينُ على المسكينُ مررت به» (٣).

ويفهم من هذا الكلام أن الخليل يوجه تركيبا واحدا من حيث بنيته السطحية عدة توجيهات معتمدًا على الدلالة والبنية العميقة.

والتركيب: «مررت به المسكينُ» يحتمل فيه «المسكين» أربعة أوجه:

الأول: الجر على أنه بدل.

الثاني: الرفع على أنه خبر حذف المبتدأ منه، وتقديره: «المسكين هو».

الثالث: الرفع على أنه مبتدأ، والجملة قبله خبر.

الرابع: النصب على أنه مفعول به لفعل محذوف تقديره «أخص»، أو «أعني».

وكلها فيها معنى الترحم.

وتعد مسألة تعدد المعنى للتركيب الواحد من المسائل المهمة التي تعنى بها المدرسة التوليدية، وقد كانت هذه من المبررات الجوهرية التي أيدت به هذه المدرسة وجهة نظرها في تحليل الجمل الصحيحة نحويًّا، ولكنها غامضة دلاليا. وربما كانت هذه الظاهرة أيضا من الاعتراضات الرئيسة التي قدمها تشومسكي

---

(١) السابق ٢/٧٥.

(٢) انظر: السابق نفسه.

(٣) انظر: السابق نفسه.

على مدرسة بلومفليد لقصورها في معالجة وتحليل الجمل الغامضة بسبب بنيتها التركيبية [١].

ومن أمثلة هذه الجمل الغامضة:

- «سأل زيد يوسف أن يذهب».
- «يحترم زيد يوسف أكثر من مروان».

فالجملة الأولي قد تكون متحولة من الجملتين الآتيتين:

- «سأل زيد يوسف أن يذهب زيد».
- «سأل زيد يوسف أن يذهب يوسف».

والجملة الثانية قد تكون متحولة من الجملتين الآتيتين:

- «يحترم زيد يوسف أكثر من أن يحترم زيد مروان».
- «يحترم زيد يوسف أكثر من أن يحترم مروان يوسف» [٢].

ومما عالجه أيضا الخليل بن أحمد العدول الدلالي، ومن مظاهره: التضمين؛ أي: تضمين فعل معنى فعل آخر، فيتعدى تعديته، أو يلزم لزومه، ومن ذلك توجيهه لقول الشاعر [٣]:

إذا تَغَنَّى الحَمامُ الوُرقُ هَيَّجَنى ولو تغرَّبتُ عنها أُمَّ عَمّارِ

قال الخليل: «كأنه لما قال: «هيجني»؛ عرف أنه قد كان ثم تذكر لتذكره الحمام وتهييجه، فألقي ذلك الذي عرف منه على أم عمار كأنه قال: «هيجني فذكرني أم عمار» [٤].

---

(١) انظر: رسالة جذور النظرية التوليدية التحويلية في كتاب سيبويه ص ٧٠ لجابر عبد الأمير جبار التميمي، ماجستير بكلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٣م.

(٢) انظر في هذه الأمثلة: كتاب الألسنية التوليدية والتحويلية لميشال زكريا ص١٥.

(٣) البيت من البسيط للنابغة الذبياني في ديوانه ٢٠٣، وبلا نسبة في الكتاب ٢٨٦/١، والخصائص٤٢٥/٢، ولسان العرب٢/ ٣٩٥، (هيج)، ويروى "تعزيت" بدل "تغربت".

(٤) الكتاب ٢٨٦/١.

فهنا نلاحظ أن الخليل قد لجأ إلى بنية عميقة يفسر بها التحول الدلالي الذي تكشف عنه البنية السطحية.

وكان الخليل أيضا يهتم بما يعرف بالدلالة الخارجية، وهي تعبير اللفظ عن العالم الخارجي؛ فيقول في التفرقة بين «صر» و «صرصر»: «يقال: «صَرَّ يصِرُّ صَريرًا»، وإذا خفف وأظهر الحرفين جميعًا؛ تحول الصوت من المد إلى الترجيع فضوعف؛ لأن الترجيع يضاعف كله في تصريف الفعل إذا رجع الصائت، قالوا: «صَرْصَرَ» و «صَلْصَلَ»، على توهم المد في حال، والترجيع في حالٍ» (١).

ونقل عنه ابن جني هذه الفكرة فقال: «كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدًا فقالوا: «صرَّ»، وتوهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا: «صرْصرَ»» (٢).

ولاحظ الخليل أن المصادر التي تجيء على «الفَعَلان» محركة إنما تجيء حكاية لما تدل عليه من حركة واضطراب. وقد ألمح سيبويه إلى هذا المعنى، ونسبه إلى الخليل فقال: «وقد جاءوا بـــ «الفَعَلان» في أشياء تقاربت، وذلك «الطوَفان» و «الدوَران» شبهوا هذا؛ حيث كان تقلبا وتصرفا بـــ «الغلَيان» و «الغثَيان»؛ لأن الغليان أيضا تقلُّب ما في القدر وتصرفه» (٣).

ثم قال سيبويه بعد أن أنهى هذه الفكرة: «وهذه الأشياء لا تضبط بقياس ولا بأمر أحكم من هذا، وهكذا مأخذ الخليل (٤).

وهذا يدل على أن الفراهيدي كان يعتقد بوجود مناسبة طبيعية بين اللفظ والمعنى وإن جزئيا، وأنه كان يرى أن اللغة تعكس ما في العالم الخارجي.

---

(١) العين ٢٣/٥. (قر).
(٢) الخصائص ١٥٢/٢.
(٣) الكتاب ٣٣٧/١.
(٤) السابق نفسه.

وبعد؛ فقد كانت هذه هي أهم نقاط الالتقاء بين هذين العلمين الكبيرين، وقد اتضح من خلال ما عرضناه كيف أن الفكر التحويلي كان سمة عامة من سمات منهج الخليل بن أحمد النحوي؟ وقد تمثل هذا المنحى في عدة خصائص، منها: الفطرية، والمنطقية، والتعليل، والتقدير، والقلب، والقول بالحذف والزيادة، ومراعاة المعنى، وغير ذلك.

نتائج البحث:

يمكن أن نوجز نتائج البحث في الأمور الآتية:

١- أهمية الربط بين النحو العربي والفكر اللغوي الحديث.

٢- أهمية النظر في الخصائص المنهجية للدرس النحوي عند الخليل بن أحمد من خلال كتبه كلها، والروايات التي نقلت عنه في كتب النحو الأخرى سوى كتاب سيبويه.

٣- التناسق المنهجي، ووحدة النظر اللغوي لدى الخليل بن أحمد، فاللغة عند الخليل كيان عضوي واحد، تتناغم معالمه وتتوافق عناصره ومكوناته.

٤- لدى الخليل بن أحمد نزعة تحويلية قوية تتمثل في معالجته لظواهر الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والقلب والتعويض والإبدال والاشتقاق وغير ذلك.

٥- من أبرز خصائص المنهج اللغوي عند الخليل: فطرية اللغة، والصلة بين اللغة والعالم الخارجي، والصلة بين اللغة والفكر، والتمييز بين الأصل والفرع، والنزعة التفسيرية والافتراضات العقلية وهي نفسها الخصائص التي نجدها لدى نعوم تشومسكي في نظريته التحويلية.

٦- هناك تشابه كبير بين منهج الخليل بن أحمد ومنهج تشومسكي ، ولا نبعد إن قلنا:إن تشومسكي قد تأثر في نظريته التحويلية بكثير من أفكار النحاة العرب.

مراجع البحث

١- آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، لتشومسكي، ترجمة: عدنان حسن، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ٢٠٠٩م.

٢- أثر العقيدة وعلم الكلام في النحو العربي، للدكتور مصطفى أحمد عبد العليم، القاهرة، دار البصائر ٢٠١١م.

٣- أدب الكاتب، لابن قتيبة، أبي محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، مصر، ط٤، ١٩٦٣.

٤- أسرار العربية، لأبي البركات الأنباري، تحقيق: فخر صالح قدارة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

٥- أسس الفلسفة، للدكتور: توفيق الطويل، دار النهضة العربية، ط٣، القاهرة ١٩٧٦م.

٦- الأصمعيات، للأصمعي عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع (ت٢١٦هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٧، ١٩٩٣م.

٧- الأصول في النحو لابن السراج، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٨- الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية للدكتور ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨٣.

٩- الألسنية المباديء والأعلام، للدكتور ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٣م.

١٠- ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩م.

١١- إنباه الرواة، للقفطي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٨٢م.

١٢- الإيضاح في علل النحو، لأبي القاسم الزجاجي، تحقيق: د. مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط٣، ١٩٧٩م.
١٣- البنى النحوية، لتشومسكي، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، دار شئون الثقافة العامة، بغداد،١٩٨٧م.
١٤- تاج العروس من جواهر القاموس،للزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، (ت ١٢٠٥هـ)، دار الفكر – بيروت ،ط١ ، ١٤١٤ هـ.
١٥- تاريخ علم اللغة الحديث، لجرهارد هلبش، ترجمة الدكتور: سعيد حسن بحيري، ط١، القاهرة، ٢٠٠٣م.
١٦- التطورات النظرية والمنهجية للنظرية التوليدية في نصف قرن، للدكتور حمدان رضوان، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، أكتوبر ٢٠٠٧، العدد ٣.
١٧- جذور النظرية التوليدية التحويلية في كتاب سيبويه، لجابر عبد الأمير جبار التميمي، ماجستير بكلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٣م.
١٨- الجنى الداني في حروف المعاني، لحسن بن قاسم المرادي، تحقيق الدكتور طه محسن، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد ١٩٧٥م.
١٩- الحماسة البصرية، للبصري أبي الحسن، علي بن أبي الفرج بن الحسن، (ت٦٥٩هـ) تحقيق مختار الدين أحمد، عالم الكتب – بيروت، بدون تاريخ.
٢٠- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، للبغدادي، عبد القادر بن عمر (ت١٠٩٣هـ) تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٩٩٧م.

٢١- الخصائص، لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤.
٢٢- ديوان الأخطل، غياث بن غوث الثعلبي، صنعة السكري، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، دمشق، دار الفكر، ط٤، ١٩٩٦ م.
٢٣- الساميون ولغاتهم، للدكتور: حسن ظاظا، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٩٠م.
٢٤- سر صناعة الإعراب، لابن جني، تحقيق د حسن هنداوي، دمشق، دار القلم ١٩٨٥م.
٢٥- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
٢٦- شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، أبي على أحمد بن محمد بن الحسن (ت٤٢١هـ) تحقيق غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣ م.
٢٧- شرح شافية ابن الحاجب، لمحمد بن الحسن الرضي الاستراباذي. تحقيق: محمد الزفزاف وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٨- شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لأبي القاسم محمد بن محمد بن محمد النويري (ت٨٥٧هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق د. مجدي محمد سرور، ط١، ٢٠٠٣ م.
٢٩- العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي، و د. إبراهيم السامرائي، دار الهلال.
٣٠- قواعد تحويلية للغة العربية للدكتور محمد علي الخولي، الأردن، دار الفلاح ١٩٩٩م.
٣١- الكتاب، لسيبويه. عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٨م.

٣٢- لسان العرب لابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأفريقي (ت٧١١هـ). دار صادر بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
٣٣- اللغة ومشكلات المعرفة، لتشومسكي، ترجمة د. حمزة قبلان، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، ١٩٩٠م.
٣٤- مجالس ثعلب، لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، ط٢، ١٩٤٨م.
٣٥- مجلة اللسانيات، العدد السادس، جامعة الجزائر، ١٩٨٢م.
٣٦- المدارس النحوية، للدكتور: شوقي ضيف، دار المعارف.
٣٧- مدخل إلى اللسانيات للدكتور محمد محمد يونس، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط١، ٢٠٠٤م.
٣٨- المعرفة اللغوية؛ طبيعتها، وأصولها، واستخدامها، لتشومسكي، ترجمة: د. محمد فتيح، دار الفكر العربي، ١٩٩٣م.
٣٩- المنطق الحديث ومناهج البحث للدكتور محمود قاسم، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الخامسة، ١٩٦٧م.
٤٠- منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث للدكتور علي زوين، دار الثقافة العامة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.
٤١- المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.
٤٢- النحو العربي والدرس اللغوي الحديث، للدكتور: عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨م.
٤٣- نزع الخافض في النحو العربي، إعداد حسين بن علوي بن سالم الحبشي، رسالة جامعية بجامعة حضر موت، كلية التربية، المكلا، ١٤٢٥هـ.

٤٤- نظرية تشومسكي اللغوية، لجون لوينز، ترجمة: د. حلمي خليل، ط١، دار المعارف الجامعية، ١٩٨٥م.

٤٥- نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر النحوي الحديث، للدكتور نهاد الموسى، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠م.

٤٦- نظرية النحو الكلي والتراكيب اللغوية العربية للدكتور حسام البهنساوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١ ، ٢٠٠٤م.

٤٧- همع الهوامع، لجلال الدين السيوطي. تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

المراجع الأجنبية:

٤٨ -N. Chomsky, curret issues in Linguistic Theory (The Hague:Mouton,١٩٦٤).

٤٩- N. Chomsky, Language and Mind, (New York Harcourt, ١٩٦٨).

٥٠- N. Chomsky , Syntactic Structures, La Haye, Mouton, ١٩٥٧.

٥١-N. Chomsky , The Formal Nature of Language, Seuil, ١٩٦٩.

* * *